سلسلة روايات

المنطقة صفر
ZONE 1 ZERO

محمد فاروق الشاذلي

فريق متميزون
E-BOOK

لازال حياً

دار دوّن

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق -متميزون-

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة روايات
المنطقة صفر
Zone Zero

(١)
لا يزال حيًا

الكاتب: محمد فاروق الشاذلي.

إهداء..

إلى دعائم القلب الأربعة

شكرًا أنكم في حياتي

محمد فاروق الشاذلي

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة..

العقل البشري قوة جبارة لا نعرف حدودها بعد، محيط هادر ما زلنا نقف على شاطئه، البعض حاول استغلال القدرات المتاحة إلى حدها الأقصى، والبعض حاول تطوير هذه القدرات والوصول بها إلى حد أبعد، لكنهم جميعا واجهوا مفترق الطرق الأصعب، ووقفوا حائرين أمام الطريق (خيرا أم شرا)، وتعددت الاختيارات، لكن العقبة الأصعب التي لم يتخطاها سوى القليلون، كانت النفس البشرية واختياراتها الغامضة.

آدم عبد الرحمن:

طبيب المخ والأعصاب الذي نجح في تطوير قدراته الذهنية ليواجه في كل مرة نفس المعضلة، هل يتغلب على نفسه؟ أم تتغلب عليه؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١)

لم أكن أعلم أنهم يعرفون بوجودي، ولست أدري كيف وصلوا إلي؟

اقبلوا إعتذراي فلم أكن أقصد أن أطلق كل هذا الشر بينكم.

كل الأمور كانت طبيعية حتى..

حتى أتى هذا الزائر..

حين..

لكن هذا لم يعد هاما الآن.

فقط أرجو أن تغفروا لي..

آدم عبد الرحمن

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٢)

فليتدنس الكون الذي يُدنس اسمك
أنت الذي لم تُرحم فلا تَرحم
أنت الذي لم يُغفَر له فلا تَغفر
أما نحن خُدّامك، فنمجّد اسمك في كل حين
ننشر الدنس لأجلك بين الأولين والآخرين
فحين تغضب.. لا تغضب علينا
وحين تثور.. لا تثر إلا لأجلنا
وحين ينتهي الكون.. كن هنا
معنا.. ولنا
نحن الـ....

اضطر «السيد» إلى قطع ترنيمته الغامضة حين دلفَ إلى حجرته مساعدته الخاصة «سارّة» ووقفت على بُعد خطوات من مكانه، تناول بيمناه عصا أبنوسية مطعمة بأحجار كريمة تزيّن حلقة ذهبية تحيط بأعلى العصا واستند إليها بقامته الفارعة وجسده الرياضي المتناسق الذي لم تنل منه سنواته الأربع وسبعين رغم ما واجه خلالها من خبرات صعبة وبعضها عنيف، التمعت صلعته بقطرات من العرق حيث أطفئ جهاز التكييف أثناء ترديده لترنيمته الغامضة التي توقف عنها منذ ثوانٍ، نظر إلى «سارّة» مليًّا بعينيه السوداوين في إشارة منه لها أن تبدأ بالكلام، ترددت لعدة ثوانٍ قبل أن تبدأ في سرد ما لديها من أخبار تدرك أنها ستكون غير سارة بالنسبة «للسيد»، فهو

من الأشخاص الذين يقدسون الدقة في كل شيء ويحبون أن تسير كل الأمور طبقًا لمخططاتهم، لهذا شعرت بقشعريرة حين انسابت حبة من العرق أجراها القلق على ظهرها جعلتها تشعر بالبرودة رغم حرارة الغرفة العالية، أعاد «السيد» النظر إلى «سارّة» من جديد، تلك المرأة الثلاثينية المكتملة الأنوثة، والتي تتعمد استثمار مواهب جسدها الصارخ مثلما تستثمر مواهب ذكائها المتقد، والذي أهَّلها كي تصبح سكرتيرته ومساعدته الشخصية رغم أنها لم تلتحق بالعمل لديه إلا منذ ثلاث سنوات فقط، شعرها الذهبي القصير يذكِّره بزوجته الراحلة، لديهما نفس الطول المتوسط تقريبًا، ونفس الرشاقة والعينين اللامعتين، تحرك نحو مكتبه الأبنوسي الثمين، جلس خلفه بهدوء، أسند العصا إلى المكتبة الضخمة خلفه والتي تحتوي على عددٍ من المخطوطات القديمة التي كُتِبَت باليد وبلُغة يجهلها الكثيرون، تنحنح، ففهمت «سارّة» أنه وجب عليها أن تبدأ الحديث، فتحت الملف الذي سكن بين أصابعها من قبل أن تدلف إلى الحجرة، التقطت منه ورقة وناولتها إلى «السيد» وبصوت خفيض لا تنقصه الثقة، لكن تنقصه الطمأنينة:

- وردَ إلينا هذا التقرير منذ دقائق من مكتبنا في (نيو يورك)، ويحمل نبأ هامًا، وأظن أنه لا يحتمل التأخير، لذا بادرت بعرضه عليكم فورًا.

تناول «السيد» الورقة، نظر إليها مليًّا، المكتب في (نيو يورك) يعني أن علماء المنظمة توصلوا لشيء جديد وهام، قرأ ما جاء في الورقة بتأنٍّ رغم المفاجأة التي تحملها إلا أن ملامحه لم تتغير على الإطلاق، انتهى من القراءة سريعًا ثم وضع الورقة على سطح المكتب، أشار بطرف يده لسكرتيرته الحسناء كي تنصرف، ورغم

أنه أصبح في خريف حياته إلا أنه لم يفوّت فرصة مراقبة جسد «سارّة» المهتز في إثارة وهي تخرج من الغرفة، تمنى لو كان أصغر بعشرين أو ثلاثين عامًا، ربما حصل على فرصة مع هذا الجسد المتفجر بالأنوثة، تناول غليونه وبدأ في حشوه بالتبغ الذي يتم تصنيعه خصيصًا لأجل «السيد» في واحد من أكبر مصانع إنتاج التبغ في الولايات المتحدة والعالم، أشعل الغليون بتؤدة كي يمنح نفسه فرصة للتفكير كما هي عادته دائمًا، ثم تناول الورقة من جديد، لم تكن تحتوي على عددٍ كبير من الكلمات، لكنها ضمت ما يكفي لإثارة ذهنه على العمل في سرعة وكفاءة هي التي أهَّلته ليجني ثروة طائلة نجح في إخفاء غالبيتها عن العيون، للمرة الثالثة أعاد قراءة الكلمات:

«هناك اختلالات غير مفهومة في كتلة الكرة الأرضية

تشوش على علامات ظهوره

في انتظار الأوامر»

طوى الورقة بهدوء ووضعها داخل جيب السترة الداخلي، تناول عصاه ونهض مغادرًا حجرة مكتبه، متجهًا إلى سيارته المصنعة طبقًا لمواصفات خاصة بالطلب، وحين جلس في مقعده أخبر السائق بوجهتهم ثم أخرج هاتفه المحمول وطبع في رسالة كلمات قليلة:

«ما هو مصدر الاختلالات؟

كيف تؤثر على علامات ظهوره؟

لماذا تم إخباري عبر البريد الإلكتروني وليس هنا عبر هذا الاتصال الآمن؟».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قبل أسبوعين:

دخلت الدكتورة «ندى» بقامتها القصيرة وشعرها منساب على كتفيها حرًّا، مرتدية بنطالًا من الجينز الأزرق الضيق و«تي شيرت» أحمر يزيدها جمالًا، إلى معمل الأبحاث الذي تعمل به بصحبة دكتور «آدم عبد الرحمن» لتناوله ملفًّا يحتوي على آخر ما قامت بتسجيله من خطوات البحث الذي يعملان عليه منذ عامين:

- تفضل يا «آدم»، هذا آخر ما قمت بتسجيله فيما يخص خصائص الصفة التشريحية للمخ البشري.

تناول منها «آدم» الملف وتصفحه في عجالة ليتأكد من احتوائه على كافة المعلومات التي طلب منها تسجيلها، داعب لحيته القصيرة المعتنى بها جيدًا وهو يتأمل آخر صفحة بالملف:

- من فضلك يا «ندى»، خصصي مساحة في التوثيق لشرح الجزء الذي نعمل عليه من المخ ويجب أن توضحي كل التفاصيل الخاصة بالأماكن التي يجهل العلماء وظيفتها الأساسية في المخ البشري.

أعاد إليها الملف، ثم عاد بانتباهه إلى شاشة الحاسوب يسجل عليها بعض البيانات، شاركته النظر إلى الشاشة باهتمام وهي تسأله:

- لماذا لم تبدأ في توثيق تجاربك العملية بعد يا «آدم»؟

التفت إليها ثم نهض بقوامه الرياضي الطويل:

- تعرفين يا دكتورة أن المخ البشري ما زال به مناطق يجهل العلم ما هي وظيفتها بالتحديد كما كنا نتحدث منذ ثوانٍ، كما أن بعض العلماء يدعون أن قدرة الإنسان على استغلال إمكانيات عقله لم تتعدَّ بعد نسبة العشرة بالمائة، لهذا تحديدًا لا أرغب في تسجيل بيانات التجارب العملية إلا بعد أن ننتهي من تسجيل الصفات التشريحية للمخ.

مررت «ندى» يدها في شعرها:

- ولماذا تحرص على هذا الترتيب؟، ألم تنتهِ من مراحل التجارب العملية؟

جلس «آدم» مَرَّة أخرى إلى حاسوبه وداعب بعض أزراره في سرعة ليبدو على الشاشة نموذج ثلاثي الأبعاد للمخ البشري، به منطقة محددة من الفص الأمامي ذات لون مختلف:

- تجاربنا العملية أوصلتنا إلى التعرف على وظيفة هذه المنطقة من المخ، لكن كي يمكن السيطرة على وظيفتها واستغلالها كان لا بد من المرور بمراحل متعددة.

هزت «ندى» رأسها في تفهم وهي تكمل حديثه:

- نعم أعرف، فقد كان لا بد من إجراء تجارب لتنشيط هذه الخلايا أولًا حتى ترتفع نسبة ما يستخدم من قدراتك الذهنية إلى عشرين بالمائة.

أومأ لها «آدم» بالإيجاب وهو يضيف:

- وتعرفين أيضًا أنه أثناء هذه المرحلة كدت أصاب بسرطان المخ نتيجة رفع نشاط هذه الخلايا واقترب الأمر كله من حد الخروج

عن السيطرة لولا المرحلة الثانية من التجارب، التي تطلَّبت مجهودًا ذهنيًّا خارقًا حتى لا يفلت من أيدينا زمام الأمور.

ابتسمت له «ندى» وهي تربت على كتفه:

- أعرف يا حبيبي وأحمد الله أن هذه المرحلة مرت على خير دون خسائر، فما كنت أحتمل أبدًا أن يصيبك أي مكروهٍ خلال هذه التجارب.

ابتسم لها «آدم» أيضًا:

- وأنا الآن أعمل على المرحلة الثالثة من بحثنا وهي التحكم الكامل في وظيفة هذا الجزء من المخ البشري.

قطبت «ندى» جبينها:

- نعم، تلك المرحلة التي بدأت بها أثناء إجازاتي بالقاهرة، فاستغللت غيابي وبدأتها، وربما تكون ملأت وقت فراغك بالتعرف إلى فتيات «لندن».

ضحك «آدم» بصوتٍ عالٍ:

- يا لغيرة النساء، لا يمكن يا حبيبتي أن أفعل ذلك أبدًا، فلا وقت لدي إلا للبحث، ولا مكان في قلبي إلا لكِ.

لكزته في كتفه بدلالٍ:

- لا تغيّر الموضوع، ما الذي توصلت إليه حتى الآن في المرحلة الثالثة من التجارب العملية.

غمز لها بعينه اليمنى:

- لن تصدقي.

ظهر على وجهها غضبٌ طفوليّ:

- لا تثير فضولي يا «آدم»، أخبرني ما الذي توصلت إليه؟

تحرك «آدم» ليقترب منها ويضع يديه على كتفيها، ثم أشار بيده إلى قلمٍ ملقى بجوار لوحة المفاتيح:

- انظري إلى هذا القلم.

تأمل القلم لمدة حوالي ثلاثين ثانية ثم نظر إلى الجهة المقابلة حيث منضدة تحمل طابعة الليزر، قطب حاجبيه، وبدت على وجهه علامات التركيز، ثم بدأت تتكون صورة مهتزة للقلم، أخذت تتكثف في بطءٍ أمام أعينهم حتى استقر قلمٌ جديدٌ على المنضدة، نظر إلى «ندى» وقد ارتسمت علامات السعادة والثقة على وجهه، أما «ندى» فقد اقتربت من القلم ولمسته في تردد كي تتأكد من وجوده فعلًا، التقطته بين أصابعها وقرَّبته من وجهها تتأمله، ثم اتجهت نحو القلم الأصلي تلتقطه أيضًا لتقارن بينهما، وبدا صوتها ضعيفًا وهي تقول:

- هذا مستحيل، لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا.

ضحك «آدم» وهو يقترب منها ليشير إلى خدش في سطح القلم الأصلي:

- انظري إلى هذا الخدش.

ثم يعود ليشير إلى القلم المنسوخ ويديره كي يبدو نفس الخدش، وهو يضيف:

- ونسخته المخدوشة أيضًا في نفس المكان وبنفس التفاصيل.

نظرت له «ندى» وقد بدأت تقتنع:

- لكن كيف؟، ما هي الآلية التي يمكن تُحدث ذلك؟

أجلسها «آدم»، ثم جلس في مقابلها وهو يلمس شعيرات لحيته القصيرة كعادته كلما هم بحديث أكاديمي وقد احتلت الجدية نبرات صوته:

- لكل شيء في الكون كتلة محددة، تشبه بصمة الأصبع، بحيث لا تتكرر هذه الكتلة أبدًا، ما يصنعه هذا الجزء من مخ الإنسان أنه يقرأ بيانات هذه الكتلة عن طريق استقبال ما يمكن تبسيطه بفكرة تشبه موجات الراديو، ثم يتمكن هذا الجزء من مخ الإنسان من صناعة نفس التردد مَرَّة أخرى، مما يصنع نسخة مشابهة تمامًا للأصل الذي تعرَّف المخ إلى بصمته المادية التي تكون كتلته.

هزت «ندى» رأسها في تفهم:

- لقد شاركتك كل خطوة في هذه الأبحاث وافهم جيدًا ما تقول، لكن أنت وحدك الذي قمت بالتجارب العملية، أظن أنه من حقي أن أبدأ في إجراء تجاربي العملية أنا أيضًا.

ابتسم «آدم» وهو يميل بجزعه ليقترب منها:

- ستبقى هذه الميزة قدرتي المميزة عن حبيبتي الصغيرة المشاغبة.

دفعته «ندى» برقة في كتفه ونبرات شقاوة طفولية تتسلل إلى صوتها:

- أنا لست مشاغبة يا «آدم»، ألست شريكتك في هذا البحث منذ بدايته؟

- بالطبع يا حبيبتي، لديكِ كل تفاصيل البحث ويمكنك أن تبدئي في إجراء تجاربك العملية وقتما تشائين، الأمر فقط يحتاج إلى

تدريب، حينما بدأتُ أول تجربة عملية أخذت منّي خمس عشرة دقيقةً كي تمنح أول نتيجة فعلية، بعد عددٍ من التجارب الفاشلة، أما التجربة التي أجريتها أمامك الآن فلم تستغرق دقيقة واحدة، الأمر الثاني أنني لم أنجح حتى الآن في إجراء تجربة ناجحة على كتلة كبيرة، كل تجاربي الناجحة لم تتعدَّ حجم كتاب متوسط، أما ما زاد عن ذلك، ما زلت أواجه صعوبة في نسخه.

مست «ندى» يديه في حب وهي تزيد من حماسه:

- إذًا لا تتوقف عن إجراء التجارب العملية حتى تمتلك هذه القدرة كاملة، لتستطيع أن تنسخ أي شيء وبسرعة، سيصبح هذا الأمر نقلة كبيرة في حياة البشرية، تخيل أن تزرع فدانًا واحدًا من القمح ثم تنسخ هذا المحصول ملايين المرات حتى يكفي كل سكان الأرض، تصور أن يتم إنتاج قميص فتنسخه حتى يكتسي كل عريان في كل مكان.

نهض «آدم» والفخر يرافق كلماته:

- سأقضي على الفقر، والمرض، سأنسخ كل علبة دواء حتى ينالها كل مريض، سأقضي على الجوع، سأقضي على آلام البشرية وما يعذبها.

تنحنحت «ندى»، فنظر إليها مبتسمًا:

- أقصد «معًا» سنفعل ذلك معًا يا حبيبتي.

رفعت سبابتها أمام وجهها تداعبه:

- من فضلك يا دكتور «آدم» نحن هنا في مكان العمل ولا مجال للعلاقات الشخصية الآن.

اقترب منها ونظر لها في حنان:

- متى إذًا موعد العلاقات الشخصية.

أصابها التوتر والخجل معًا وأشاحت بنظرها عنه:

- يمكنك أن تدعوني للعشاء، ووقتها يمكنك أن تلقي على مسامعي كل كلمات الغزل في الكون، لن يكون الأمر صعبًا عليك، يمكنك نَسخها آلاف المرات.

ضحكا معًا، واستعدا لمغادرة المعمل لتناول العشاء، قبل أن تخطو نحو الباب، رفعت حاجبيها وسألته:

- لكني لم أفهم إلى الآن، لماذا تصر على عدم توثيق التجارب العملية إلا بعد تسجيل كل ما يخص الصفات التشريحية؟

عادت الضحكات تجلجل من «آدم»:

- لقد نسيت أنك سألتِني هذا السؤال، لكن حتى أقتل فضولك، كل ما في الأمر أنني أود أن أشرح أولًا الصفات التشريحية حتى إذا سجلنا التجارب العملية تكون واضحة بالكامل للعلماء الذين سيناقشوننا في تفاصيل البحث.

فردَ «آدم» ذراعيه إلى آخرهما وهو يضيف:

- لا أصدِّق أن الإنسان أصبحت لديه نفس الميزة الموجودة في أجهزة الحاسب الآلي المعروفة بالـ Copy & Paste ولقد قررت أن أطلق عليها اسم «إعادة التكوين».

ابتسمت «ندى» ثم تأبطت ذراعه في طريقهما إلى تناول العشاء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أنهى الدكتور «عبد الرحمن عز الدين» دوامه في المستشفى الملكي البريطاني بعد ست عشرة ساعة متواصلة لم يرحم فيها

سنواته الخمس وستين، ولم يدخر خلاله أيًّا من مهاراته التي جعلته واحدًا من أهم أطباء المخ والأعصاب في بريطانيا وربما في العالم، تناولت مساعدته المعطف الأبيض من يده وساعدته على ارتداء سترة البدلة، وبلهجة إنجليزية باردة ذكرته بجدول مواعيده غدًا، رغم بقائه في بريطانيا ما يزيد عن الخمسة والثلاثين عامًا، إلا أنه لا يزال يكره برودة المشاعر ويشتاق إلى الدفء والحميمية المصرية، تمنى في قرارة نفسه لو أن بلده كانت تحتوي المبدعين والمتفوقين وتدعمهم أكثر من بلاد الصقيع والضباب، لا يزال عالقًا في ذاكرته كلمات رئيس القسم في مستشفى قصر العيني وهو يخبره باستبعاده من قائمة المعينين بوظيفة معيد بالكلية رغم تفوُّقه، والسبب ببساطة ووضوح أن أحد النافذين تدخَّل ليضع اسم قريبه في نفس الوظيفة بديلًا لعبد الرحمن، أفاق من ذكرياته على صوت مساعدته وهي لا تزال تلقي على مسامعه حديثها البارد وهو يسير في الممر المؤدي إلى جراج المستشفى، ثم ركب سيارته وبدأ في تسخين الموتور، أمسك هاتفه المحمول وأجرى اتصالًا، انتظر حتى أتاه صوتٌ مرحٌ من الجهة المقابلة:

- أهلًا دكتور «عبد الرحمن»، من الجيد أن تتذكرني.

ابتسم في وداعة وهو يسمع دعابة ابنه «آدم» فيجيبه:

- بعد كل هذه السنوات في الدراسة العلمية ولا يزال الهزل سيد كلامك، ألا تستطيع التحدث بجدية ولو مرة؟

تنحنح «آدم» ومنح صوته نبرة أكثر خشونة متصنعًا الجدية:

- أعتذر يا دكتور عن هزلي، نسيت أني أتحدث إلى أستاذي الحبيب، من فضلك دعني أتحدث إلى صديقي وأبي «عبد

الرحمن عز الدين» فالطبيب «عبد الرحمن عز الدين» أنهى دوامه منذ قليل.

قهقه «عبد الرحمن»:

- هل سنتناول العشاء معًا؟، أظن أن والدتك ملت من كثرة تناولها الطعام وحيدة.

صمت «آدم» لبرهة قبل أن يجيب بشيء من الحرج:

- في الواقع يا دكتور..

قاطعه «عبد الرحمن»:

- ما دمت بدأت بهذه الجملة، فأنت لن تتناول العشاء معنا.

- في الحقيقة، هذا صحيح.

- أصبحت أحسد الدكتورة «ندى» التي تراك أكثر من صديقك العجوز، ألم تشتَق يا ولد لحديثنا معًا، أم لم تعد لديك أسرارٌ تحكيها لي؟

سمع صوت تنهيدة «آدم» ثم أجابه:

- بالعكس، لدي مفاجأة لك من العيار الثقيل، لكن دعني أنهي هذا العشاء الرومانسي، وأراك في المنزل بعد ساعتين.

- سأنتظرك، أبلغ سلامي لفتاتي الحلوة.

أغلق الهاتف، ثم بدأ في التحرك بسيارته نحو المنزل.

وضع «آدم» هاتفه على المنضدة ونظر إلى عينيّ «ندى» ومنح بعض الرومانسية لنبرات صوته:

- اشتقت لكِ.

نظرت له «ندى» في دهشة:

- أنا لم أتحرك من أمامك طوال حديثك في الهاتف، كيف تشتاق إلي وأنا معك.

لمس يديها فضربت دماء الخجل وجنتيها فورًا وهربت نظراتها إلى أسفل:

- صدّقيني يا حبيبتي، أشتاقك في كل لحظة، وشوقي إليكِ لا قاتل له.

قاطعهما وصول النادل وهو يحمل أطباق العشاء، فساد بينهما الصمت حتى ينصرف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وصل الدكتور «عبد الرحمن» إلى منزله، فاستقبلته زوجته «رقية» بابتسامة ودودة، طبعت قُبلة على وجنته وضمته إلى صدرها بمحبة، وضع حقيبته على منضدة صغيرة خلف باب المنزل وساعدته على خلع السترة وتعليقه على شماعة، سارا معًا إلى غرفة المعيشة وجلسا متجاورين على الأريكة المواجهة للتلفاز، نظر لها «عبد الرحمن» مبتسمًا، لم تتغير كثيرًا في عينيه عن تلك الفتاة الصغيرة التي قابلها لأول مَرَّة منذ سنوات بعيدة على باب السفارة المصرية في لندن، لم يدرِ أي منهما ساعتها أن لقاءهما هذا تولدت فيه شرارة الحب الذي استمر إلى اليوم، موظفة السفارة التي تخطو أولى خطواتها في العالم الدبلوماسي والطبيب الشاب الذي يصنع لنفسه مجدًا ليصبح في السنوات التالية من عباقرة مجاله، ربتت على يديه في حنان:

- أتدري أن تلك النظرة التي تسكن عينيك الآن، كانت السبب الذي أوقعني في عشقك على سلِّم السفارة؟

لف يمناه حول كتفها وضمها إليه ليقبّل رأسها:

- أتدرين أن هذه النظرة لم تسكن عيني إلا حين وقع بصري عليكِ، يبدو أنها خُلقت وقتها لأجلك وحدك.

أمالت رأسها على صدره:

- أتذكر يوم عرفنا بحملي في التوأم المشاغب «آدم وآن»؟، كانت تلك النظرة أيضًا هي السبب في تقديمي لاستقالتي من العمل في الخارجية.

ابتسم وهو يعود بذاكرته إلى هذا اليوم:

- يومها قررتِ التفرغ لصناعة طبيب شاب أصبح الآن عجوزًا للغاية، ومنحي هديتين ثمنيتين «آدم وآن».

اعتدلت في جلستها:

- على ذِكر «آن»، لقد اتصلت اليوم من ألمانيا وتبلغك السلام.

التمعت عيناه ببريق الحنين:

- أوه، لكم اشتقت لتلك الفتاة الشقية، كيف حال زوجها وحفيدي الحبيبين؟

- لقد التحق ابنها «آدم» بفريق كرة القدم بمدرسته ويثير إعجاب مدربه كل يوم، أما «يوسف» فقد تماثل للشفاء أخيرًا من نزلة البرد التي أصيب بها الأسبوع الماضي.

بدت علامات الارتياح على وجه «عبد الرحمن»، ثم أضاف:

- وماذا عن زوجها «محمود»؟ هل قبلَ الوظيفة الجديدة؟

هزت رأسها نفيًا:

- كلا، قال إن المصنع الذي يعمل فيه الآن حين علم بحصوله على عرض من مصنع منافس، قاموا بزيادة راتبه حتى يستمر في العمل لديهم.

ضربت جبهتها براحة يمناها ثم ابتسمت:

- لقد أخذنا الكلام وانشغلت عن تحضير العشاء، لا بد وأنك تتضور جوعًا.

ثم قامت من مجلسها واتجهت نحو المطبخ، تبعها كعادته ليساعدها في تجهيز مائدة الطعام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولج «آدم» عبر باب المنزل يحمل ملامح هادئة، مبتسمًا بعد أن سكنته سعادة لقائه مع «ندى» خارج العمل، كان يعلم أين يجد أباه الآن، في حجرة المكتب، مهما امتدت ساعات عمله، لا بد أن يعود إلى حجرة مكتبه ليقرأ، ويستمع للموسيقى، تسرب إليه الصوت الآتي من الغرفة بآخر الممر بالدور الأرضي، «يا حبيب إمبارح وحبيب دلوقتي، وحبيبي لبكرة ولآخر وقتي، احكي لي، وقولي، إيه من الأماني، ناقصني تاني وأنا بين إيديك»، تعجب من والده، هذا الرجل الذي عاش أكثر من ثلثي عمره هنا في لندن، لكنه لا يزال متمسكًا داخله بكل ما هو مصري، صوت «الست» كما يصر أن يسميها، أغنيات «عبد الوهاب»، روايات (محفوظ)، حرصه على التواصل المستمر مع المصريين المقيمين بلندن، لم يفهم السبب يومًا، «كيف احتفظ قلبي بمكان لفظني؟»، لكنه كالعادة يتجنب مناقشة والده في هذا الأمر حتى لا يثير غضبه، أكمل مسيره مباشرة نحو غرفة

المكتب، طرق الباب وانتظر حتى سمع الإذن بالدخول، فتح الباب واتجه مباشرة إلى رأس والده يقبله:

- أفتقدك كثيرًا يا صديقي العجوز.

أغلق الدكتور «عبد الرحمن» الكتاب في يده وربت بمودة على كتف ولده وتلميذه وصديقه، أشار له بالجلوس قبالته على نفس الأريكة وعلى وجهه ابتسامة حنون:

- لو كنت تفتقدني حقًّا كما تقول، لكنت قضيت معي وقتًا أطول.

أراح «آدم» ظهره إلى الأريكة:

- حضرتك تمنح أكثر وقتك للعمل يا دكتور، فلا تلُمني إن فعلت المثل، لقد تعلمت منك الإخلاص في العمل، والسعي نحو تحقيق الأهداف، وتحويل الأحلام إلى واقع.

وضع «عبد الرحمن» الكتاب على سطح المكتب وهو يعتدل في جلسته ويضع ساقا فوق الأخرى:

- أفهم من حديثك هذا أن أبحاثك السرية أثمرت شيئًا.

تبسم «آدم» ابتسامة واسعة أظهرت بياض أسنانه:

- ليست أبحاثًا سرية يا أبي، أخبرتك من قبل أني أبحث وراء وظائف المناطق المجهولة في المخ، وتوصلت فعلًا لنتائج رائعة.

اعتدل «عبد الرحمن» في جلسته لينحي الأب جانبًا ويتحول إلى الأكاديمي الخبير:

- أطلعني إذًا على بعض التفاصيل.

نهض «آدم» من جلسته وسار نحو مكتبة والده، سأله:

- ما هو أهم كتاب لديك في هذه المكتبة يا أبي؟

تعجب «عبد الرحمن» من سؤال ولده، فبادله السؤال:

- وما علاقة هذا بأبحاثك يا «آدم»؟

تبسم «آدم»، فقد كان يعرف أن والده يحب الوضوح في الحديث، ويتعجل لمعرفة النتيجة:

- من فضلك يا دكتور، نحِّ فضول العلماء جانبًا الآن وأخبرني بإجابة مباشرة.

اعتدل «عبد الرحمن» في جلسته ليواجه ولده، وأشار نحو مكان معين فوق أرفف المكتبة:

- من بعد (القرآن الكريم) سيكون كتاب (الحاوي في الطب) لابن سينا، هناك في الرف الثالث، ستجده جهة اليمين.

نظر «آدم» نحو المكان الذي أشار إليه والده، وبحث بعينيه عن الكتاب الذي طالما حرص والده أن يدفعه لقراءته وهو في بداية دراسته للطب، وتذكَّر كيف أهداه نسخة عربية في يومه الدراسي الأول، وعند التخرج أهداه نسخة أخرى مترجمة إلى الإنجليزية، عثر «آدم» على الكتاب فتناوله، وضعه أمام والده على الأريكة، ثم جلس بجواره:

- ما ستراه الآن يا أبي علم بحت، واتجاهي لدراسة الباراسيكولوجي كان هو السبب في النتائج التي وصلت إليها.

بدا عدم الصبر على وجه «عبد الرحمن»:

- تعلم كم أكره المقدمات الطويلة، كن مباشرًا في كلماتك يا ولدي.

تنهد «آدم» كمن يقدم على خطوة هامة، ثم ركَّز بصره على الكتاب لحوالي عشرين ثانية، لكنها كانت أكبر كثيرًا من قدرة أبيه على الصبر:

- تكلم يا «آدم»، لماذا صمت؟

نظر «آدم» لوالده:

- انتظر قليلًا يا أبي، دقيقة واحدة لن تضيرك.

أعاد النظر إلى الكتاب ليستعيد تركيزه، بعد حوالي ثلاثين ثانية بدأت صورة مهتزة من الكتاب ترتسم على الأريكة تجاور النسخة الأصلية، تراجع «عبد الرحمن» بجزعه للخلف في دهشة، واستمر في التحديق لتلك الصورة التي أخذت تتكثف بسرعة لم تزد على عشر ثوانٍ، حتى اكتمل تجسد الكتاب الجديد، تناوُله «آدم» بهدوءٍ، قلب صفحاته في سرعة، ثم ناوله إلى أبيه، مدَّ «عبد الرحمن» يده ليختطف الكتاب تقريبا من يد ابنه، ثم يمسك بالنسخة الأخرى من الكتاب ليتأكد من كونهما موجودتين معًا، قام بتقليب عدة صفحات ليقارن بين النسختين، كان يقلب بصره بين الكتاب وبين وجه ابنه المبتسم في هدوءٍ، أخيرًا تنهد وأراح جسده الذي أجرت مفاجأة ولده جرعات من الأدرينالين في عروقه أنهكته:

- يبدو أننا سنقضي ليلتنا مستيقظين كي أفهم ما الذي حدث.

احتضن «آدم» والده في سعادة ثم بدأ يتكلم شارحًا له كل شيء، منذ بذرة الفكرة، حتى ثمرة التجربة العملية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٣)

كان الخبر محزنًا ومفجعًا للبعض، لكنه كان منتهى السعادة لشخصٍ ما، لقد مات «السيد»، مات «المدنس الأعظم»، لم يكن ذلك ليحزن «....»، ما اسمه؟، لم يعد الاسم مهمًّا الآن، فسيتلاشي اسمه القديم ويختفي إلى الأبد، لأنه سيحمل اسمًا جديدًا بعد أيامٍ قليلة، سيصبح «السيد» الجديد، سيصبح «المدنس الأعظم» التالي، لم تكن رحلة سهلة حتى هذه الدرجة، المكانة الأعظم في جماعته، «المدنسون»، هل حقًّا مضت أربعون عامًا منذ انضم إلى المنظمة؟، يبدو أن الزمن لم يعد ذا قيمة، أو أن الأيام أصبحت تتسارع للدرجة التي حين ننظر فيها للماضي، فلا نشعر بالوقت الذي مرَّ، يذكر جيدًا أول مَرَّة دخل فيها إلى ذلك المبنى الغامض ذي الطوابق الثلاثة المبني على الطراز القوطي الحديث، وله بوابة ضخمة تعلوها دائرة سوداء قاتمة تتوسطها عين دائرية واحدة ذات لون أسود أقل قتامة، وفي المنتصف تمامًا حَفر صغير يمثّل رسمًا جانبيًّا لرأس «ابن آوي» مما ذكره بإله الموتى في المثيولوجيا الفرعونية والمسمى «أنوبيس»، يعلوالمبنى برج حصين جعل المكان أشبه بقلاع العصور الوسطى وإن كان له حجم أصغر كثيرًا منها، يومها لفتت انتباهه النافذة التي تتوسط البرج كان يعلوها قوس بارز منحه الشعور بأن النافذة تحت حماية هذا القوس، كان دخوله لهذا المبنى للمرة الأولى كي ينضم إلى أخوية من أخويات المدنَّسين، تلك التي تتكون من سبعة أعضاء، يصبحون بعدها في رابط لا فكاك منه إلى الممات، فحين تقسم باسم الشيطان على الانضمام للجماعة، تكون بذلك قد أقسمت قَسَما لا حنث فيه، وإلا ستتنازل طواعية عن حياتك، وربما في بعض الأحيان

عن حياة محبيك وعائلتك، ساعتها تنازل عن جميع أمواله كما هو الحال مع كل الأعضاء، لكنه أيضًا سيمتلك كل أموالها مثل الباقيين، كان ضمن أخوية صغيرة في أورُبّا، لكنها كانت تكون مع ست أخويات أخرى، عائلة من أقوى عائلات المنظمة في الشرق الأوروبي، يجب أن تجد الرقم سبعة دائمًا مرتبطًا بالمدنسين؛ لأنه رقمهم المقدس في الكون، أيام الأسبوع، ألوان قوس قزح، طبقات السماء، عدد أيام خلق الكون، عدد الخطايا المهلِكة للبشرية، وأشياء أخرى عديدة تتكون من سبع، لهذا كان سبعة أعضاء بالأخوية وأكبرهم سنًّا هو رئيسهم، سبع أخويات في العائلة يتزعمها أيضًا الأكبر عمرًا بينهم، رؤساء العائلات السبع يكونون «مجلس دنس»، وأكبر سبعة رؤساء سنًّا من مجالس الدنس يترقون تلقائيًّا إلى «مجلس الخطايا» إنه المجلس الذي يدير تلك الجماعة، كلمته أمرٌ لا يرد على عددٍ من الأتباع قد يكون قليلًا في العالم، لكنه يمتلك نفوذًا لا حد له، حين تكون الأكبر عمرًا في هذا المجلس، فهذا يعني أنك «المدنَّس الأعظم»، بعدها لا يذكر اسمك من جديد، ستصبح «السيد» وكفى، اليوم مات «السيد» وبعد أيامٍ قليلة سيصبح هو «السيد» الجديد، لهذا لم يحزن حين وصله الخبر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فليتدنس الكون الذي يُدنس اسمك

أنت الذي لم تُرحم فلا تَرحم

أنت الذي لم يُغفر له فلا تَغفر

أما نحن خُدّامك، فنمجد اسمك في كل حين

ننشر الدنس لأجلك بين الأولين والآخرين

فحين تغضب.. لا تغضب علينا
وحين تثور.. لا تثُر إلا لأجلنا
وحين ينتهي الكون.. كن هنا
معنا.. ولنا
نحن المُدَنَسون
نحن المُدَنِّسون
ننشر الدنس كي يتهيأ هذا الكون
لخروج مسيخك المُنتَظَر.

ترددت هذه الترنيمة في القاعة المظلمة، لتنصيب «المدنس الأعظم» الجديد، الذي سيقضي بعد انتهاء المراسم ساعات في الظلام، قد تطول أو تقصر، لا أحد يعرف متى تنتهي هذه الخلوة إلا حين يقرر «المدنَّس الأعظم» الخروج منها، وصل الآن إلى القمة بعد أربعين عامًا اجتهد فيها لنشر الخطايا بين البشر، يؤمن مثل جماعته أن هذه هي الطريقة الوحيدة لخروج «المسيخ» تلميذ معبودهم الشيطان، ليسود الشر في الأرض، ويتحكم الظلام في كل شيء.

جلس «المدَّنس الأعظم» في خلوته عدة ساعات في الظلام، تصور فيها طريقة إدارته للجماعة في الفترة المقبلة، كيف يمكنه أن يزيد من نفوذها، وأموالها، ونشاطها، كيف يمكنه أن يوسع قاعدة المنتمين لها والمخلصين لأفكارها، يستطيع أن يستشعر مدى إخلاصه لفكرة المنظَّمة، وما يمكن أن يضحي به لأجلها، حين انتهت خلوته وخرج إلى النور، وجد سكرتيرته الحسناء في

انتظاره، استدعت السيارة فورًا، ليبدأ رحلة جديدة في حياته المفعمة بالتجارب والرحلات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تجربة أخرى ناجحة لـ «آدم» تجعله يزداد ثقة في نفسه، ويفعمه الحماس والسعادة أكثر، نتائج تجاربه أصبحت الآن أسرع، والأشياء المنسوخة تزداد أحجامها تجربة بعد أخرى، في كل مَرَّة يحدوه الأمل أن هذه التجارب الناجحة ستكون بابًا لخيرٍ يعم البشرية، سينسخ بيوتًا لكل المشردين، وطعامًا لكل الجائعين، وكساء لكل المحتاجين.

طرقت «ندى» الزجاج الذي يمثل حائطًا كاملًا لغرفة المعمل بنقرات منغمة، فعرف «آدم» أنها «ندى» من قبل أن يستدير ليراها، أشار لها بالدخول، سارت نحو الباب، تتبَّعها بنظراته عبر الزجاج، مثلما تتبَّعها قلبه من قبل، حين أتت للتسجيل لدراسة الماجستير بنفس الجامعة التي نال منها درجة الدكتوراة وتم اختياره ضمن فِرَق البحث العاملة بالجامعة، واجهتها مشكلات في التسجيل للدراسة بسبب كونها مسلمة مصرية من بعض الموظفين، تزداد معدلات الكراهية ضد كل ما هو إسلامي وعربي في الغرب الذي يدّعي التحضر ونبذ العنصرية، وبعد كل حادثة إرهابية يعاني العرب والمسلمون في أورُبّا من عنصرية وبغض وكراهية، وبعض من أعمال العنف حتى لو كانت فردية، ما إن عرف «آدم» بالمشكلة التي تواجه «ندى» حتى طلب من والده أن يتدخل للمساعدة، خاصة وأنه لا يطلب إلا أن تنال حقها فقط، بعد أن نجحا في تجاوز هذه العقبة دعتها والدته إلى العشاء للترحيب بها، فشعرت معهم أن لها أسرة حقيقية في مدينة الضباب، أنجزت دراسة الماجستير في وقتٍ قياسيّ، ثم

انضمت لفريق البحث الذي يترأسه «آدم» من أجل معرفة دور المناطق المجهولة في مخ الإنسان، ولضعف التمويل تقلص فريق العمل ليصبح «آدم» و «ندى» فقط، وكما تقلص عدد أفراد فريق البحث تقلصت أيضًا المسافة الفاصلة بين قلبيهما.

رفعت «ندى» راحة يمناها تشير بها أمام وجه «آدم» لليمين واليسار:

- أين ذهبت يا دكتور؟ أتحدث إليك ولا تسمعني.

انتبه «آدم» فضحكا معًا حتى علا صوتهما، ذكرها بلقائهما الأول حين ظنت أنه لا يجيد العربية بسبب عينه الملونة رغم بشرته القمحية فحين عرض عليها المساعدة غمغمت بالعربية:

- لا ينقص رداءة يومي إلا أنت.

ليفاجئها بقوله:

- وما الذي جعل يومك رديئًا إلى هذا الحد؟

شعرت بحرج شديدٍ، خاصة حين نطق كلماته باللهجة المصرية، معنى هذا أنه لا مجال لادعاء أنها كانت تعني شيئًا آخر، فانصرفت مهرولة من أمامه دون أن تنطق حرفًا واحدًا.

لكزته «ندى» في كتفه بخفة:

- ما زلت تذكر يا أسود القلب.

ابتسم «آدم»، سحبها من يدها إلى خارج المبنى، في الساحة المخصصة لانتظار سيارات الباحثين، وقف «آدم» أمام سيارته، نظرت له «ندى» في دهشة:

- إلى أين سنذهب يا «آدم».

وضع «آدم» يده على عينيها لثانيتين، حين أزاح يده، كانت نسخة أخرى من السيارة تقف تمامًا في جوار الأصلية، أخرج «آدم» من جيبه مفتاح السيارة بيده اليمنى وتركه على راحته، وقبل أن تصل اليسرى إليه، كان مفتاح آخر يجاوره، ناوله «آدم» إلى «ندى»، ملأت التساؤلات عينيها، فغمز لها:

- هذه هديتي لكِ، نسخة من سيارتي.

ثم أضاف مازحًا:

- حتى أتحمل وحدي المخالفات المرورية.

نظرت له في حب، ولولا تمسُّكها بقناعاتها التي أتت بها من مصر لاحتضنته، أضاف «آدم»:

- لو أردتِ نسخة من قصر باكينجهام لصنعتها لك.

نظرت له في غضبٍ أنثوي مغلف بالدلال:

- ألا أستحق أن تصنع شيئًا لأجلي لم ينَله أحدٌ قبلي؟

شعر «آدم» بالحرج فلم يجد ما يضيفه، اتجهت «ندى» نحو السيارة وهي تسأله:

- ألا تريد جولة بسيارتي الجديدة يا دكتور؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم تكن الدهشة هي ما أصابت «دافيد» حين راجع النتائج التي ظهرت على شاشة الحاسوب، بل كان ما ظهر على وجهه هو «عدم الفهم» بدأ فورًا في تحليل البيانات، وعاصفة من التساؤلات تطيح بقدرته على التفكير المنطقي، كيف يمكن أن يحدث هذا؟، أليس للأرض كتلة ثابتة لا تتغير؟، كيف يمكن أن تبدأ كتلة الأرض بالازدياد بهذا الشكل المفاجئ؟، ما الذي أحدث

هذا الخلل؟، تشير النتائج إلى أن الزيادة في كتلة الأرض ضئيلة جدًّا مقارنة بالكتلة الكلية، لكنها زيادة ربما تكون مؤثرة وهذا كفيل بجعلها مقلقة، زيادة كتلة الأرض يجب أن يرتبط به بطء في حركة دورانها حول محورها، وأيضًا في حركة دورانها حول الشمس، هذا سيعني اختلالًا جسيمًا في عدد ساعات اليوم، وكذلك عدد أيام السنة، ناهيك عن أن هذا التباطؤ سيؤدي إلى اقتراب الأرض من الشمس نتيجة قلة مقاومتها لجاذبيتها، صحيح أن الخلل الذي لاحظه لا يصل إلى هذه الدرجة، لكن مجرد حدوثه يقلق، وربما يزداد حتى يصل إلى الدرجة التي تتثاقل حركة الأرض فيها بسبب ازدياد كتلتها فتعجز عن مقاومة جاذبية الشمس ثم...، هز «دافيد» رأسه عله يفيق، أعاد إجراء معادلاته من جديد، وللمرة الثالثة تعطي نفس النتائج، ضغط عدة أزرار بلوحة المفاتيح قاصدًا أمر الطباعة لهذه النتائج المربكة، انتزع الورقة من الطابعة وهرول بها نحو مكتب دكتور «جورج» مدير مركز الأبحاث الجيوفيزيائية بـ(نيويورك) ربما يجد لديه إجابة منطقية لهذه النتائج غير المنطقية، المركز في العلن يهتم للأبحاث الجيوفيزيائية لكنه في الواقع،

لديه عددٌ من الباحثين يعملون على عدد من الأبحاث المختلفة في عدد من المجالات أغلبها سِرّي حتى على العاملين بالمركز، مشى «دافيد» في الممر بجسد قصير تبطئ حركته كيلوجرامات من الدهون، عدَّل من وضعية معطفه الأبيض وتأكد من وجود بطاقة التعريف التي تحمل اسمه على صدره قبل أن يطرق الباب، لم يكن مستعدًا لتوبيخ من الدكتور «جورج» بسبب تلك التفاهات التي يراها «جورج» لا تقل أهمية عمّا يدور داخل

معامل المركز، أتاه الصوت مؤذنًا له بالدخول، حين دخل كان وجه مدير المركز متجهًا نحو حاسوبه يتابع نتائج الأعمال داخل المعامل، انتظر «دافيد» فلم يمتلك جرأة أن يقاطعه، بعد لحظات استدار «جورج» بعينيه وشعره الرماديين، تساءل «دافيد» في نفسه، لماذا يرتبط كل شيء له علاقة بـ «جورج» باللون الرمادي، سيارته رمادية، مكتبه رمادي، حتى شخصيته رمادية، لا تعرف هل هو شخص شرير؟، أم طيب؟، شخصيته قوية وحاسمة كما يبدو؟، أم ضعيف من الداخل كما يظن؟ حتى طوله رمادي، فلا هو بالطويل ولا هو بالقصير، انتفض حين انتزعه صوت «جورج» من أفكاره:

- هل سأنتظرك دهرًا كي تبدأ حديثك يا «دافيد»؟

لم يستطع تخيُّر كلمات مناسبة ليقولها فلم يجد سوى أن اقترب من مكتب «جورج» مادًا يده بالورقة التي تحمل النتائج التي أربكته، تناولها في هدوء، طالعها، استدار نحو حاسوبه وبدأ في النقر على أزراره لتتراص البيانات فوق الشاشة ذات الخلفية الرمادية، حين انتهى ظهور البيانات على الشاشة، تراجع بجسده ليستند على ظهر المقعد الجلدي الوثير، داعب لحيته وهو يفكر متأملًا هذه البيانات، استدار نحو «دافيد»:

- يمكنك الانصراف الآن.

تراجع «دافيد» خطوتين للخلف:

- هل.. هل يمكن أن أسأل عن معنى هذه النتائج؟

أغمض «جورج» عينيه علامة الضيق ونفاد الصبر، وفرد كفه الأيمن نحو الباب فلم يزد «دافيد» حرفًا وخرج مسرعًا، تناول

«جورج» سماعة الهاتف وطلب رقمًا داخليًّا، حين ارتفعت السماعة في الجهة المقابلة دون أي رد:

- «بن» أريدك في مكتبي حالًا، أحضر «جو» معك.

وضع السماعة ثم شرد في النتائج المثيرة للدهشة التي أتى بها «دافيد»، أعاد النظر إلى الورقة من جديد، حتى سمع صوت طرقات على الباب فأمر الطارق بالدخول، كان «جو» أول من مرَّ من الباب بجسده النحيف وقامته متوسطة الطول، شعر مجعد كثيف، تبعه «بن» مرتديًا نظارة طبية، ذو جسد رياضي. أغلق «بن» الباب خلفه بعد أن دخلا الغرفة، جلسا في مقابلة مكتب «جورج» منتظرين أن يبدأ بالكلام، ناول «جورج» الورقة لـ «بن» الذي تناولها ثم تأملها لدقيقة أصابته بالمفاجأة، ثم ناولها بدوره لـ «جو»، نظر إليهما «جورج»:

- هل لدى أيّ منكما تفسيرٌ لهذه البيانات؟

هز «بن» رأسه في حيرة:

- هذه البيانات غير منطقية، فلا تتغير كتلة الكواكب بهذه السهولة والسرعة.

صمت بعدها، لكن «جورج» استمر ينظر إليه في تساؤل، مما اضطره أن يضيف:

- الأمر يحتاج لبعض الدراسة قبل أن أمنحك أي تفسير.

هز «جورج» رأسه في تفهم:

- أريد أن تبدأ حالًا في إجراء هذه الدراسات، «جو» كل ما تتابعه من أعمال الآن انقله لأي من زملائك وتفرغ لمساعدة «بن».

هز «جو» رأسه في إيجاب، فأشار لهما «جورج» بالانصراف، ما إن خرجا حتى أخرج هاتفه المحمول، أراد أن يكتب رسالة، شيءٌ ما جعله ينحي الهاتف جانبًا، ثم يستدير لمواجهة الحاسوب، نقر على علامة برنامج البريد الإلكتروني، انتقى من دفتر العناوين عنوانًا محددًا، كتب كلمات قليلة.

«هناك اختلالات غير مفهومة في كتلة الكرة الأرضية

تشوش على علامات ظهوره

في انتظار الأوامر»

بعد نصف ساعة تلقي رسالة عبر الهاتف المحمول.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«ما هو مصدر الاختلالات؟

كيف تؤثر على علامات ظهوره؟

لماذا تم إخباري عبر البريد الإلكتروني وليس هنا عبر هذا الاتصال الآمن؟».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٤)

لم يتمكن رنين هاتف «آدم» المحمول من إجباره على الاستيقاظ في موعده اليومي المعتاد، حيث قضى معظم الليل ساهرًا لاستكمال بعض الأجزاء المتعلقة بالبحث، حتمًا سينال جائزة نوبل في الطب هذا العام نتيجة اكتشافه هذا، تخيل المجد الذي سيناله حين يعلن نتائج بحثه على العالم، ستتم دعوته لإلقاء المحاضرات في أعرق جامعات العالم، سيقابله الرؤساء والملوك بكل احترام وتقدير، سيصير بطلًا في عيون فقراء العالم وجائعيه، فكر ساخرًا، حتى لو لم تمنحه الأكاديمية جائزة نوبل، يمكنه أن ينسخ واحدة لنفسه، ظل يعمل على الأجزاء النظرية بالبحث حتى غلبه النعاس فنام في المعمل.

عاد الهاتف لرنينه مَرَّة أخرى، لكنه نجح هذه المرة في اقتناص انتباه «آدم» الذي انتفض من أحلامه، تأمل المكان حوله لثانيتين أو ثلاث قبل أن يدرك أنه ليس في البيت وأنه سقط في النوم بالمعمل، التقط الهاتف ليجد اسم أبيه يزين الشاشة، حرَّك أصبعه على الشاشة التي تعمل بتقنية اللمس ليفتح الخط مع أبيه:

- صباح الخير يا أبي.

أتاه صوت أباه نشيطا لتعوده على الاستيقاظ مبكرًا:

- أين قضيت ليلتك يا فتى؟

تثائب «آدم» قبل أن يجيب:

- في المعمل يا أبي، كنت أستكمل الجزء التوثيقي في البحث، ولا يزال أمامي عدة أيام حتى أنتهي منه كاملًا.

جاء صوت «عبد الرحمن» موحيًا:

- وحدك؟

تبسم «آدم» من مزحة أبيه:

- تعرفني جيدًا يا أبي، وقت العمل لا هزل فيه، هكذا تعلمت منك.

شعر «عبد الرحمن» بالفخر، ثم سأل ابنه:

- أخبرني، ما آخر أخبار تجاربك العملية؟

تسللت السعادة إلى نبرات «آدم» فورًا:

- تتقدم بامتياز ولله الحمد، أصبحت أي تجربة لا تستغرق أكثر من ثانيتين، واحدة يتعرف مخي فيها على بصمة كتلة الشيء المراد نسخة، والثانية لإعادة تكوين هذه الكتلة.

تهلل صوت أبيه وهو يضيف:

- عظيم، لكَم أنا فخور بك يا ولدي.

فرح «آدم» لفرحة أبيه:

- بل أنا الذي يجب أن يفخر أنك أبي.

عاد الجد إلى صوت «عبد الرحمن»:

- ماذا عن الأحجام يا «آدم»؟ هل ما زالت تشكل عقبة لك؟

أسرع «آدم» بالرد:

- مطلقًا يا أبي، أصبح الآن بإمكاني نسخ أي حجم أريد.

ظهر السرور من جديد بكلمات «عبد الرحمن»:

- عظيم، عظيم، ما الذي ينقص تجاربك العملية حتى تنتهي منها.

تنهد «آدم» قبل أن يجيب:

- عدد مرات التكوين يا أبي، يمكنني الآن استنساخ الأشياء لمرة واحدة، فإذا احتجت لنسخة أخرى، يجب أن أعيد التعرف على كتلته من جديد، أحتاج أن أجري تجارب عملية ليمكنني الاحتفاظ بشيفرة كتلة الجسم المنسوخ في ذهني، بحيث يمكنني استعادتها في أي وقت لإعادة نسخها من جديد، كما أن هناك مشكلة أخرى ما زلت لا أستطيع حلها حتى الآن.

سأله «عبد الرحمن» باهتمام:

- وما هي هذه المشكلة يا ولدي؟

أجابه «آدم» بشيء من الإحباط في صوته:

- لم أتمكن بعد من إعادة تكوين الكائنات الحية، أجريت تجاربي على الحيونات المعملية حتى الآن، وفي كل مَرَّة أحصل على نسخة ميتة بلا روح.

- وما حاجتك لإعادة تكوين الكائنات الحية يا «آدم»؟

أجابه «آدم» بحماس:

- تخيل يا أبي لو استطعت أن أعيد تكوين الدجاج مثلًا، ستتوفر لكل الجوعى وجبات منها بلا تكلفة.

مرت ثوانٍ قبل أن يجيب «عبد الرحمن»:

- لا تحاول مجددًا يا «آدم».

شعر «آدم» بالارتباك من تعليق والده:

- ولمَ يا أبي؟

تبسم «عبد الرحمن»:

- لأنك لا تملك أن تبث فيها الروح يا ولدي، هذا الأمر لن يكون لمخلوق أبدًا، فالروح من أمر ربي.

شعر «آدم» بالمفاجأة:

- لم أتجاهل هذا أبدًا.. لكن أتدري.. معك حق.. لعله الغرور البشري يا أبي فمهما حاولت لن أتمكن أبدًا أن أبث فيها ما لا يستطيع سوى الخالق وحده أن يفعله.

- كل تمنياتي القلبية لك بالتوفيق يا ولدي.

أجابه «آدم» بامتنان:

- أشكرك يا أبي، دعمك الدائم حافز مستمر لي.

أضاف «عبد الرحمن»:

- هل تشاركك «ندى» في هذه التجارب؟

- في الواقع هي منشغلة بتسجيل النتائج التي نجريها من الناحية التشريحية على المخ، وستبدأ في الاشتراك في التجارب العملية مع بداية الأسبوع المقبل.

تنحنح أبوه:

- سأتركك إذًا لتستكمل عملك يا تلميذي النجيب.

- تحياتي يا أبي.

- إلى اللقاء يا «آدم»، دعنا نلتقي الليلة على العشاء.

- إن شاء الله يا أبي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد أن أنهى «عبد الرحمن» تناول العشاء الذي أعدته زوجته وشاركهما في تناوله على غير العادة ولده «آدم»، أشار له كي يلحق به إلى غرفة المكتب، كي يستأنفا الحوار الذي دار بينهما في الهاتف صباحًا، وبعد أن انتهى «آدم» صنعَ فنجانين من القهوة التركية التي يعشقها أبوه ولحق به، ما إن دخل إليه حتى تبسم أبوه، هو يعشق القهوة التي يصنعها ولده، تناول منه فنجانًا ووضعه أمامه على المكتب، ووضع «آدم» الفنجان الآخر على المنضدة الموجودة أمام الأريكة ثم جلس عليها، تناول أبوه رشفة من فنجانه فاستحسنها، نظر إلى «آدم» وهو متردد كيف يبدأ حواره معه، تناول رشفة أخرى من القهوة، ليمنح نفسه ثواني إضافية ليحدد بالضبط مدخلًا ملائمًا لكلامه مع «آدم»، طال صمت «عبد الرحمن» مما أثار فضول «آدم»، الأمر الذي دفعه ليبادر أباه:

- خيرا يا أبي؟، لماذا ألمح علامات التجهم على وجهك؟

وضع «عبد الرحمن» فنجان القهوة من يده، ثم ملأ رئتيه بالهواء وزفره بقوة ثم التفت لولده:

- في الحقيقة يا «آدم» ما زلت أبحث في عقلي عن مبتدأ مناسب كي أتناقش معك في أمرٍ ما.

اعتدل «آدم» في جلسته وترك هو أيضًا قهوته على المنضدة، انعقد ما بين حاجبيه:

- متى بدأت بيننا هذه الطريقة في الحوار يا أبي، لم يكن بيننا هذا التردد يومًا.

تنهد «عبد الرحمن» للمرة الثانية ومسح وجهه بيديه، ثم أسند ذقنه على راحة يمناه:

- الأمر هذه المرة أعقد من ذي قبل يا ولدي.

شعر «آدم» بالإشفاق على أبيه من هذه الحيرة:

- قل ما شئت يا أبي، سأسمعك جيدًا.

عقد «عبد الرحمن» ذراعيه على صدره وأسند ظهره إلى الكرسي:

- أريد منك أن تؤخر إعلان نتائج بحثك، وأفضل لو أبقيت ما توصلتم إليه سرًّا لبعض الوقت.

انتقل «آدم» إلى المقعد المواجه لمكتب أبيه والحيرة تعلوه أكثر:

- نبقيها سرًّا!، لماذا؟

نهض «عبد الرحمن» ليجلس في الكرسي المواجهة لـ «آدم»:

- اسمعني جيدًا يا ولدي، هناك دائمًا لكل أمر في الحياة وجه جيد ووجه سيء، لا يوجد في الدنيا ما هو خير مطلق أو شر مطلق، وباختلاف نسبة الخير والشر في الأشياء تصبح في نظرنا خيّرة أو شريرة.

صمت «عبد الرحمن» قليلًا ليمنح ولده فرصة للتعليق، لكن «آدم» اكتفى بهز رأسه تفهمًا وانتظر أن يكمل أبوه حديثه، مما شجع والده على الاستطراد:

- النفس البشرية يا ولدي ملغزة ومحيرة، وما نظنه خيرًا يدفعنا للأمام ربما نكتشف في يوم ما أنه شرٌّ يعيدنا للخلف.

حين صمت «عبد الرحمن» ثانيةً، كان لدى «آدم» تعليق:

- للمرة الأولى يا أبي أراك تلجأ لمقدمات طويلة، ولا تدخل إلى صلب الموضوع مباشرة كما هي عادتك.

عاد «عبد الرحمن» لعقد ذراعيه أمام صدره:

- ما زلت أرغب في توضيح فكرتي، السكين يا ولدي، يمكن أن تستخدم لإعداد طعام رائع، أو لإزهاق روح بريئة، التطبيقات النووية، يمكن أن تولد طاقة، أو تبيد مدنًا من الخريطة، ونتائج أبحاثك هذه لها وجه خطر يقلقني كلما مر بعقلي.

بدأ الاهتمام يرتسم على ملامح «آدم»:

- وجه خطر!، كيف يا أبي؟

- اكتشافك هذا سيستخدم بناء على ما يراه كل شخص نافعًا له، وما ينفع السفاح سيضر الضحية، وما يفيد الظالم سيؤذي المظلوم.

تنهَّد «آدم» في نفاد صبر:

- أبي، أستميحك عذرًا، قل لي مخاوفك بشكلٍ واضحٍ ومباشر.

اعتدل «عبد الرحمن» في جلسته:

- اكتشافك هذا يا ولدي يشبه صندوق باندورا، سيثير شرور كثيرة، سيحفز في كثير من النفوس صفات ذميمة، مثل الجشع والطمع والحسد.

صمت «آدم» قليلًا قبل أن يعلق:

- لماذا يثير الطمع إذ سيصبح في مقدور كل إنسان أن ينال ما يتمنى؟

تبسم «عبد الرحمن» لبراءة ابنه:

- وهل سيكتفي الإنسان يومًا؟

- ولماذا يطمع يا أبي؟

أجاب «عبد الرحمن» فورًا:

- لأن نفس الإنسان لا تكتفي يا ولدي، الطموح خير، يقابله شر الطمع إذا زاد الطموح عن حَدِّه، الشجاعة الزائدة تتحول إلى تهور، الحرص والبخل، الكرم والإسراف، كلها خير يتحول إلى شر لكنها تنبع في الأصل من نفس النبع، واكتشافك هذا سيؤجج ما يمتلكه الإنسان أصلًا من نيران قد يكون مستصغر شررها خيرًا.

صمت «عبد الرحمن» ولم يجد «آدم» ما يرد به، أخذه خياله لمناطق لم ترد بتفكيره من قبل، تصور حروب تندلع كي تمنع طائفة من البشر الآخرين من امتلاك هذه المعرفة، حتى يظل الباقون في حاجة لهم، كيف غاب عن عقله أن مصنعي الملابس مثلًا سيعارضون بشراسة نسخ الملابس حتى لا يخسرون أموالهم، كيف سيقف الزراع والتجار في وجه استنساخ الطعام، يبدو أن أباه لديه حق فيما قال، لكن ماذا سيضيرهم؟ يمكنهم هم أيضًا امتلاك نفس الميزة ونسخ ما يشاءون من أموال يكنزونها، ضحك «آدم» لسذاجته، وهل سيصبح للمال قيمة حينها؟!، لو أصبح الذهب في نفس إتاحة الحديد ما الذي سيجعله مميزًا وله قيمة؟، هذا دون احتساب أولئك الذين يعشقون التفرد والتميز، سيكرهون أن يمتلك الآخرون نفس السيارة الفارهة التي يستعلون بها، سيمقتون كل من يمتلك قصرًا؛ لأنه بذلك يسلبهم تلك المتعة في وجودهم بمكان لم يبلغه غيرهم.

نهض «عبد الرحمن» لينصرف من حجرة المكتب تاركا ولده لقراره منفردا، شعر أنه أشعل ما يكفي من ضوء يساعد ابنه كي يختار طريقًا للصواب، هكذا اعتاد أن يتصرف في تنشئة ولده «آدم» وأخته التوأم «آن»، لم يكن من بين الآباء الذين يملون على أبنائهم ما يفعلون، بل كان حريصًا طوال عمره أن يوضح لهم سلبيات وإيجابيات كل طريق قد يسلكونه، وعليهم بإرادتهم أن يتخذوا قرار المسير، فليخطئوا حتى يتعلموا الصواب، فبغير التجربة لن يكتسبوا شيئًا من خبرات الحياة، وكي تواجه الحياة في رحلة عمرك، عليك أن تتسلح والتجربة سلاح يمنحك الخبرة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٥)

حاسوب «بن» لم يتوقف عن العمل منذ عدة أيام محاولا أن يلبي طلبات «بن» من نتائج وأرقام تساعده في الوصول إلى هدفه ومعرفة أسباب اختلال كتلة الأرض في الفترة الأخيرة، وحتى الآن لم يغادر أرض الفشل، نظر إلى «جو» بوجه احتل السواد لون بشرته تحت العيون التي أصابها الاحمرار لقلة النوم، نمَت لحيته وظهرت عليه علامات الإرهاق:

- أخبرني يا «جو»، ما هي في تصورك أسباب اختلال كهذا؟

ضحك «جو» من جانب فمه في سخرية دون أن ينظر في اتجاه «بن»:

- هل كنت لأعمل كل هذه الساعات لو أن لدي تصوُّرًا ما؟

هز «بن» كتفيه في حيرة:

- نحن نتحدث عن كوكب كامل وليس شيءٍ صغيرٍ، وكي تحدث هذه التغيرات الواضحة في كتلة الأرض – حتى ولو كانت بسيطة – يجب أن يكون المسبب أمرًا ملحوظًا.

أخيرًا قرر «جو» أن ينظر إلى «بن»:

- مثل ماذا؟ ما هو الشيء الملحوظ الذي قد يؤثّر على كتلة الأرض؟

خلع «بن» نظارته الطبية ليمسحها ويمنح نفسه فرصة للتفكير، حين أعاد ارتداءها كان يملك مثالًا:

- نيزك مثلًا، حجمه يماثل مبنى صغيرًا، حين يرتطم بالأرض ستندمج كتلته بكتلة الأرض.

خطا «جو» عدة خطوات كي يقترب من «بن»:

- يبدو أن قلة النوم قد أنستك بديهيات يحفظها كل تلميذ في الابتدائية، أتدرك حجم الأضرار التي سيسببها نيزك بهذا الحجم في الأرض؟

أدار «بن» رأسه تجاه «جو»:

- معك حق يا «جو» فأقل التقديرات ستشير إلى إطلاق غازات سامة وإحداث حفرة كبيرة في الأرض، وهذا أمر سيتم ملاحظته بالتأكيد، ولن يبقى مجهولًا مثل المسبب الذي نبحث عنه.

عاد «جو» لسخريته:

- أخبر نفسك إذًا، وحاول أن تجد سببًا آخر.

نكس «بن» رأسه في يأس، خلع نظارته للمرة الثانية ووضعها على المكتب، لأول مَرَّة في حياته المهنية يشعر بهذا العجز، كان دائمًا يفتخر بأنه خريج «جامعة ييل»، واحدة من أعرق الجامعات التي تقوم بتدريس الجيوفيزياء التي برع فيها منذ عامه الدراسي الأول، حتى إنه لفت نظر أساتذته ودفع بعضهم للاهتمام به، لدرجة أن «جورج» مدير المركز زاره في منزله وهو في عامه الدراسي الأخير بصبحة أستاذه القدير العجوز «مورين»، ليلتها بعد أن قام «مورين» بالتعريف بينهما انصرف ودعاه «جورج» لتناول كأس بالخارج، عرض عليه وظيفة مغرية بالمركز، لكنه أيضًا عرض عليه ما هو أخطر؛ الانضمام لل «مدنسون»، كانت المرة الأولى التي يسمع فيها اسم هذه المنظمة السرية، لكن العرض لم يكن ليرفضه، نزع عنه معطفه وعلقه على المشجب بجوار مكتبه ثم اتجه مباشرة للباب فتحه وهم بالانصراف، استوقفه «جو»:

- إلى أين؟

رفع «بن» يده نحو رأسه:

- لم أعد أستطيع العمل أكثر، سينفجر رأسي من التعب، سأذهب لـ «ساندي» وأقضي الليلة معها وأعود في الصباح.

أغلق الباب خلفه بعصبية ورحل، أما «جو» فعاد يعبث بأزرار حاسوبه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في الخامسة فجرًا انتفض «بن» من نومه ورأسه ما زال يدور من أثر الكحول الذي تناوله بصحبة «ساندي» منذ ساعات، أزاح يدها العارية من فوق صدره، تسحب حتى لا تشعر به، لكنها فتحت عينًا حمراء مرهقة:

- إلى أين يا حبيبي؟

لم يعرها اهتمامًا تناول الروب ليرتديه وسار نحو الطابق الأرضي بخطى متعجلة حتى كاد يقع من فوق السلم، توجه إلى تلك المنضدة التي يحتلها حاسوبه المحمول وبعض الدوريات العلمية في تخصصه والموضوعة بركن قصي من الصالة، ضغط على زر التشغيل وترك الجهاز يبدأ في العمل، توجه نحو المطبخ لعمل كوب من القهوة ليساعده على التخلص من آثار الخمر المعلقة بذهنه، عاد إلى حاسوبه، وضغط بعض الأزرار ليتصل بجهازه القابع في معمله بمركز الأبحاث، بعد دقيقة أطلقت ماكينة القهوة صافرة مميزة كي تخبره بإنهاء عملها لعلَّ ذلك يكون دافعًا له كي ينهي عمله أيضًا، نهض وأفرغ محتويات الماكينة في أول كوب نظيف صادفه، عاد إلى الحاسوب وبدأ في مداعبة أزراره من قبل أن يجلس على المقعد، بدأت مجموعة

من البيانات تتراص أمامه، دوّن بعضها في دفتر ملاحظاته، أجرى بعض الحسابات الأخرى وراقب النتائج وهو يرتشف قهوته، ما إن بدأت النتائج الجديدة في الظهور حتى ترك الكوب من يده ودفع كامل تركيزه لحاسوبه، بدأت علامات الارتياح والثقة ترتسم على وجهه أخيرًا، اندفع إلى الهاتف ليجري مكالمة:

- «جو» لقد توصلت لنتيجة تصلح كطرف خيط لحل لغزنا، قابلني في المعمل بعد ساعة.

نقل «بن» سماعة الهاتف إلى الأذن الأخرى:

- هه لم تغادر بعد؟، جيد جدًّا، انتظرني إذًا.

أغلق الهاتف وهرول إلى الدور العلوي ليرتدي ملابسه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أنهت «ندى» تدوين ملاحظات الصفة التشريحية لجزء المخ الذي قاموا بإجراء التجارب عليه، راجعت البيانات من جديد، تأكدت من ذكر كافة المعلومات التي طلب «آدم» تسجيلها، كل الصور التوضيحية موجودة في مكانها الصحيح، حفظت الملف ثم قامت بطباعته، تناولت الأوراق المطبوعة وأعادت قراءتها من جديد ووضعتها بالملف المخصص لنتائج البحث، في طريقها إلى مكتب «آدم» تأملت الأوراق، كم شجرة سيتم إنقاذها نتيجة نسخ ملايين من الورقات البيضاء، هذا سيجعل جمعيات حماية البيئة تحتفل باكتشافهما إذ سيحمي الغابات ويعيد التوزان البيئي الذي اختل نتيجة القطع الجائر للأشجار، شعرت بالفخر فظهر ذلك على الثقة في خطواتها نحو مكتب «آدم»، ناولته الأوراق ووجهها يعلوه ابتسامة واسعة:

- تفضل يا دكتور «آدم» تسجيل الصفة التشريحية، لا ينقصنا على إعلان النتائج سوى توثيق التجارب العملية، وبعدها ننتظر اتصال الأكاديمية السويدية كي نتسلم جائزة نوبل.

نظر إليها «آدم» في شرودٍ، الآن التمس العذر لوالده، لا يتصور وقع الكلمات القادمة على «ندى»، كيف سيصب الماء البارد على نيران حماسها المتقدة؟، هل ستقتنع؟، هل ستقبل بتأجيل إعلان نتائج البحث أو حتى حجبها تمامًا؟ مجهود عامين سيوضع في خزانة ما وتنمو عليه شجرة وارفة من النسيان، ألم يفرحا للخير الذي سيعود على البشرية جراء ما توصلا إليه؟، الآن يجب أن يحجبا علمهما أيضًا لصالح كل إنسان فوق الأرض، تذكر كلمات والده، عجيب هذا الأمر، نفس ما يحمل لنا خيرًا، يضمر لنا شرًا، وصف اكتشافه بأنه السلم الصاعد نحو الأسفل.

- ما الذي أصابك يا «آدم»؟

تفكر، ما الذي أصابني؟ بل قولي ماذا أصاب العالم؟ ألهذا القدر يتحكم الشر والحقد والحسد والجشع والطمع في نفوسنا؟، بل ماذا أصاب الإنسان حتى يكره الخير، لدرجة أنه يحرم نفسه منه كي لا ينال شقيقه منه شيئًا.

- هل تحتفل باليوم العالمي للشرود؟

أجبره صوتها على العودة إلى الواقع، نظر لها في شفقة:

- أعتذر يا دكتور «ندى» شردت بعض الشيء.

سحبت «ندى» كرسي وقربته من مقعد «آدم»، جلست عليه وهي تربت على كتفه:

- ما بك يا حبيبي؟ ما لي أراك في هذه الحالة؟

تنهد «آدم» في حيرة ثم قرر ألا يضيع الفرصة ويتحدث معها في مخاوف والده، نقل لها أفكاره، وعرض عليها اقتراحه ثم صمت ليترك لها فرصة كي تدير الأمر برأسها قبل أن تبلغه بقرارها، ستكون هذه فرصة حسنة كي يختبر «آدم» شخصيتها وقناعاتها وأفكارها، هل ستفكر في صالح كل البشرية وتقتنع بوجهة نظر أبيه؟ أم ستفضل مجدها الشخصي وما سينالها من شهرة ونفوذ وأموال؟، تنبَّه فجأة إلى أنه ربما أيضًا يصيبهما الضرر، سيتعرضان لمخاطر لا حصر لها، ويصبحان هدفًا لكل من يرغب في وأد هذا الاكتشاف، حتمًا سيحاول كثيرون السيطرة على هذه الميزة، إما كي تبقى في يد عددٍ محدودٍ من البشر ويستغلونها لصالحهم ضد الآخرين، وإما كي لا تخرج إلى النور من الأساس، قطع أفكاره صوت «ندى» من جديد وهي تناديه، نظر لها في قلق وهو ينتظر قرارها:

- قبل أن أنبئك بما انتويت، أريد أن أسألك سؤالًا.

انقبض قلب «آدم» من هذا الرد، كان يظن أنها لن تأخذ كل هذا الوقت في الوصول إلى قرار، لم يكن واردٌ في عقله أن تبدأ بالمراوغة وإلقاء الأسئلة:

- ألا تريد أن تعرف ما هو سؤالي؟

هز رأسه بالإيجاب وتنحنح:

- بالطبع.. بالطبع أريد أن أعرفه، تفضلي، ما هو سؤالك؟

وقفت «ندى» وقطعت خطوتين للخلف، عقدت يديها على صدرها، وجاء صوتها واثقًا، يحمل كل ملامح القوة:

- ماذا في ظنك ستكون إجابتي؟

زاغت عين «آدم» لا يدري بماذا يجيب، هل يصارحها بمخاوفه؟، أم يقول لها ما يظن أنها تريد سماعه؟، تردد قليلًا لأنه لا يدري حقًّا ما الذي تريده منه أن يقوله، استجمع أمره أخيرًا نهض من مقعده واقترب منها، نظر مليًّا لعينيها عله يستشف قرارها:

- ظني أن «ندى» التي أعرفها جيدًا طوال عامين، ستوافق على تأجيل إعلان اكتشافنا، وربما تكون أفضل مما أتصور - وهي كذلك في الواقع - وستوافق على حجب هذا البحث بالكامل.

نظرت له «ندى» لثانيتين، تحركت وهي لا تزال عاقدة ذراعيها على صدرها، أطرقت رأسها، توقفت عن الحركة والتفتت إليه في صمتٍ، لمس «آدم» شعيرات لحيته القصيرة، هكذا عرفت «ندى» أنه متوتر وقلق، لكنها استمرت على صمتها:

- هل.. هل كانت إجابتي صحيحة؟

تنهدت «ندي»، فكت ذراعيها وأرسلتهما إلى جوارها، تبسمت أخيرًا:

- لو إجابتك نقصت حرف أو زادت لكانت خاطئة يا دكتور.

تنفس «آدم» أخيرًا في راحة:

- أوقعتِ قلبي، خفت من صمتك هذا.

عقدت «ندى» ما بين حاجبيها وضيقت عينيها:

- لكني عاتبة عليك يا «آدم»، كيف تتردد أو تشك في إجابتي وقراري؟، ألا تعرفني جيدًا.

- أعرفك يا حبيبتي، لكن هذا الاختبار صعب.

هزت رأسها بالموافقة:

- معك حق يا حبيبي، إنها لحظة فارقة، تضعف أمامها أقوى النفوس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دخل «بن» إلى حجرة المعمل بمركز الأبحاث الجيوفيزيائية مسرعًا يدفعه حماس الفكرة التي عثر عليها أخيرًا لحل اللغز الذي أرهقه طوال أيام، وجد «جو» جالسًا أمام حاسوبه فهرول نحوه باسمًا:

- اترك كل ما في يدك واسمعني يا «جو».

لم يستطع «جو» التغلب على جينات السخرية التي ترتع فيه:

- هل «وجدتها» يا «أرشميدس»؟

لم يأبه «بن» بسخرية «جو» هذه المرة، اتجه نحو المشجب وتناول معطفه الأبيض:

- أتدري ما الذي فاتنا يا عزيزي ونحن نبحث وراء ازدياد الكتلة الأرضية المفاجئ؟

تنازل «جو» عن سخريته هذه المرة واستدعى جينات الاهتمام وهو يلتفت نحو «بن» ويسأله بجدية:

- ماذا يا «بن»؟

انتهى «بن» من تنظيف عدسات نظارته ثم ارتداها:

- أين تذهب الكتلة الزائدة؟، ما هو مكانها؟

استطاع بسؤاله هذا أن يستحوذ على تركيز «جو» الكامل، ظهر ذلك جليًا في سؤاله:

- هل تتركز في مكانٍ واحدٍ أم تتوزع في الأرض بأكملها؟

أشار «بن» بسبابته اليمنى في وجه «جو»:

- أصبت.. لو أنها تتوزع على كامل مساحة الأرض سيكون السبب طبيعيًّا وعلينا أن نبحث وراء المتغيرات الجيولوجية أو المناخية وهكذا.

نهض «جو» من مقعده مقتربًا من «بن»:

- أما لو تركز في مكانٍ واحدٍ سيكون من السهل مراقبة التغيرات التي أصابت هذا المكان تحديدًا وبهذا نصل أسرع إلى السبب.

ابتسم «بن» واستعار جينات السخرية من «جو»:

- بدأت أقلق عليك يا صديقي، لقد ارتفع معدل ذكائك.

لم يعر «جو» سخرية «بن» اهتمامًا، اتجه مباشرة نحو حاسوبه:

- سأبدأ فورًا في قياس كتلة القطاعات الأرضية وسأقارنها بالبيانات المسجلة من قبل.

توجه «بن» نحو حاسوبه أيضًا:

- سأحضر بيانات عن التغيرات المناخية والجيولوجية لكل القطاعات على مدار عام مضى لدمجها مع قياساتك.

ساد بينهما الصمت وانهمك كلٌّ منهما في عمله حتى خمش الهاتف الداخلي وجه الصمت بأظافر رنينه، تناول «بن» سماعة الهاتف، كان يعرف المتصل من الرقم الذي ظهر على الشاشة، وضع السماعة عند أذنه ولم يتحدث لبعض الوقت، أخيرًا تحدث:

- ستجد نتائج أولية على مكتبك قبل نهاية اليوم سيد «جورج».

وضع السماعة، التفت نحو «جو»:

- يتعجل النتائج.

لم ينظر له «جو» واستمر في الضغط على أزرار الحاسوب في سرعة ودقة:

- قاربت على الانتهاء من القياسات، هل أحضرت بيانات التغيُّر المناخي والجيولوجي؟

- نعم، جاهزة.

ما زال «جو» منتبهًا لما يفعل:

- أرسلها إلى البرنامج الآن، سأبدأ في المقارنة خلال دقيقتين على الأكثر.

اتجه «بن» نحو حاسوبه وأرسل البيانات المطلوبة إلى البرنامج، اقترب من شاشة حاسوب «جو» يراقب معه النتائج، وضع «جو» أظافر يده اليسرى في فمه يقضمها بعصبية، وبيانات المقارنات تظهر ببطء على الشاشة، شعر معه أنه يعيش دهرًا لا ينقضي، داعب شعره المجعد الكثيف في قلق، بدأت نتائج مختلفة تظهر، وجدا قطاعًا تختلف كتلته عن القياسات القديمة، اندفع «جو» نحو أزرار الحاسوب ليكتب معادلاتٍ جديدة لإجراء حسابات أدق في هذا القطاع، وعادت النتائج المبشرة في الظهور، حتى ارتسم على الشاشة جزءٌ من خريطة قارة أورُبّا، تحديدًا أقصى الجزء الغربي منها في جزيرة بريطانيا، سارع «جو» لإدخال مزيدٍ من المعادلات، حتى ارتسمت علامة حمراء تحيط بمدينة (لندن)، هلل «بن» من السعادة، الآن

أمسكا طرف خيط يقودهما نحو السبب المطلوب، طبع «جو» النتائج التي ظهرت كاملة وناولها لـ «بن» الذي نظر إليها ليراجعها، اتجه نحو الهاتف، طلب رقم «جورج»، انتظر قليلًا:

- لقد توصلنا إلى نتيجة رائعة.

صمت قليلًا ثم أضاف:

- لقد حددنا مكان حدوث التغيرات، وهذا بالطبع سيقودنا نحو سببها.

وضع السماعة، نظر إلى «جو»:

- يريدنا بمكتبه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلست «ندى» بصحبة «آدم» ووالده «عبد الرحمن» في مقهى قريب لمباني جامعة إمبريال، داعبت شعرها المصفف على هيئة (ذيل الحصان) هكذا يحب «آدم» شعرها، وهكذا تصففه لأجله، رشفت بعضًا من كوب العصير، وهي تنظر نحو «عبد الرحمن»:

- ما هو اقتراحك يا دكتور؟

أسرع «آدم» يتدخل في الحديث قبل أبيه:

- أحب أن أسجل تحفظي على اقتراح محو بيانات البحث بالكامل.

نظر له «عبد الرحمن»، شعر نحوه بالشفقة، يدرك كم هو مؤلم على نفس ولده أن يتنازل عن نتائج أبحاثه:

- أعرف يا ولدي صعوبة الأمر عليك، لكن هذا سيكون أكثر أمنًا لكما.

نظر «آدم» عبر النافذة المطلة على طريق «برنس كونسرت» دون أن يجد تعليقًا مناسبًا، شعر أنَّ أباه يطلب منه أن يقتل جزءًا من روحه، تدخلت «ندى»:

- عندي حل وسط قد يرضينا جميعًا، يحقق لعمي رغبته في أماننا وحمايتنا، وفي نفس الوقت يحقق هدفنا في عدم التنازل الكامل عن بحثنا.

وجد «آدم» أفكار «ندى» تتسلل إلى رأسه، فنظر لها متعجبًا، وجدها تنظر إليه في دهشة أيضًا فقد شعرت بهذا التواصل كذلك، ابتسم كلٌّ منهما للآخر، فكر «آدم»:

- يبدو أننا دون قصد منا أصبح هناك اتصال بين عقلينا.

ابتسمت «ندى»، عدلت من وضع شعرها وهي تفكر:

- أليس هذا غاية كل حبيبٍ مع حبيبه؟، أن يسكن كل منهما عقل الآخر كما يسكن قلبه؟

نظر لهما «عبد الرحمن» دون أن يفهم لماذا صمتا، فاستحث «ندى» على مواصلة حديثها:

- لماذا صمتِّ يا بنتي؟ أخبرينا ما هي فكرتك؟

نقلت «ندى» بصرها بين «آدم» و «عبد الرحمن» المتجاورين:

- سننسخ مراحل البحث ونتائجه وكل ما يتعلق به على أحد الأقراص المدمجة ونضعه في خزانة محمية بأحد البنوك، ثم نتخلص بعدها من أي شيءٍ له علاقة بالبحث خارج هذه الخزانة.

تهلل وجه «آدم» فقد عرف فكرة «ندى» حينما تسللت إلى عقله:

- فكرة رائعة يا «ندي»، أوافق عليها بشدة.

لم تظهر علامات الرضا على وجه «عبد الرحمن»:

- ما زلت أفضل أن تتخلصا تمامًا من كل ما له علاقة بالبحث ويكفي ما اكتسبتماه من قدرة..

قاطعه «آدم»:

- أعتذر يا أبي على المقاطعة، لكن الحل الذي تقترحه «ندى» مرضيًا لكلينا، ما توصلنا إليه لا يعرفه أحد، ولهذا سنبقى في أمانٍ، وفي الوقت نفسه نحتفظ بتوثيق للبحث لربما أمكننا ذات يوم أن نعلن نتائجه.

التفت «عبد الرحمن» نحو «آدم»:

- وهل ستتغير النفس البشرية ذات يوم يا ولدي؟

كان سؤال «عبد الرحمن» يحمل إجابته، ويعرفها «آدم» و «ندى» جيدًا، يدركان أنهما لن يتمكنا يومًا من إعلان نتائج اكتشافهما أبدًا، لكنه يتمسك بالحفاظ على مجهود عامين فلا يشعر أنهما ذهبا هباءً، فجأة تذكر «آدم» شيئًا:

- ماذا عن إدارة الجامعة؟

نظرت له «ندى» في حيرة:

- ماذا تقصد يا «آدم»؟

نظر لها معاتبًا، وتردد في ذهنه:

- ألم تقرأي فكرتي مثلما قرأت فكرتك؟

- يبدو أنك تملك القدرة على حجب أفكارك يا دكتور.

فهم «عبد الرحمن» فورًا قصد ولده:

- يقصد يا بنيتي أن إدارة الجامعة ستطالبكما بتقرير عن مسار البحث وما هي النتائج التي توصلتما إليها، ولن تقبل بالطبع أن تتبخر وثائق البحث.

تبسمت «ندى»:

- لا تقلقا، الأمر هيّن للغاية.

شعر «آدم» ببصيص من الأمل وهو يسألها:

- كيف يا «ندى»؟

أزاحت كوب العصير جانبًا وهي ترسم بإصبعها على المنضدة شكلًا وهميًا يشبه المخ الإنساني:

- نحن نجري أبحاثنا على جزءٍ محدد من الفص العلوي الأمامي للمخ، كل ما في الأمر أننا سنغير اسم هذا الجزء في الوثائق التي سنمنحها لإدارة الجامعة، أما فيما يخص خطوات البحث نفسه، فسنحذف منها كلَّ ما توصلنا إليه في الشهر الأخير.

أراد «آدم» أن يقبّل رأسها، لولا خجله من أبيه، وأخيرًا ظهرت علامات الرضا على وجه «عبد الرحمن»:

- على بركة الله يا أبنائي، فليحفظكم الله دومًا.

- آمين يا أبي.

- اللهم آمين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طلب «جورج» من «بن» و «جو» البدء فورًا في مراقبة التغيرات التي حدثت في مدينة «لندن» على مدار الشهر الأخير، حتما سيصلون لسبب تغيُّر كتلة الأرض هناك، في نفس اليوم سافر «بن» و «جو» وبصحبتهما عدد من أجهزة القياسات

المتطورة، بالطبع سهَّل لهم نفوذ المنظمة عبور هذه الأجهزة الحساسة من مطار «هيثرو»، لم يكونا في حاجة للقلق بهذا الشأن، فور وصولهما وجدا في انتظارهما «إداورد» أحد أعضاء المنظمة في بريطانيا، بعد أن وصلت له أوامر من مقر المنظمة الرئيسي في ذلك المبنى المطِلّ على «بحيرة طبرية» بتسهيل إقامة «بن» و «جو»، بدأ في تجهيز مقر لهما يحتوي على عدد مختار من التسهيلات مثل اتصال فائق السرعة بالإنترنت، ورجلين للمساعدة، لم يكن «إداورد» في حاجة للسؤال عن طبيعة مهمتهما، هكذا هي الأمور في جماعة «المدنسون»، لا تسأل أبدًا عن سبب الأوامر، كل ما عليك فعله هو التنفيذ فقط، وعلى أكمل وجه، فالخطأ غير مغفور، والسهو والنسيان غير مسموح بهما، لذا اجتهد «إد» كما يناديه أصدقاؤه كي يلبي كل الطلبات التي أرسلها له «بن» عبر قنوات الاتصال الآمن للمنظمة، اتجهوا مباشرة من المطار إلى إحدى الفيلات بمنطقة نائية، والتي ستكون مقر إقامتهما وأبحاثهما معًا، وما إن انصرف «إد» حتى شرع الرجال الأربعة في تركيب أجهزة القياسات والمراقبة، أخيرًا شعر «بن» بالراحة، يبتعد عن اكتشاف الحقيقة مسافة ساعات أو أيام قليلة،

أصبح متأكدًا أن مكافأة كبيرة تنتظره من «المدنس الأعظم» فلا بد أنه يتابع هذا الأمر شخصيًا، حدث جلل كهذا لا يمكن أن يتم التصرف فيه دون أوامره المباشرة، لهذا كان الحماس يسيطر على كل خطواته، بدأ في تسجيل القياسات التي تخص المدينة، قام بتقسيمها إلى قطاعات صغيرة حتى يسهل عليه مراقبة أي تغيير يحدث ولو طفيف، لم يكن «جو» على نفس الحماس، لكنه لم يقل اجتهادًا، يدرك أن الفضل كله سيعود لـ «بن» ولن

تصله كلمة شكر أو مكافأة، اجتهاده فقط هو ما سيلفت إليه الأنظار، تأكد من قراءات الأجهزة قبل أن يتجه إلى حجرته لينال قسطًا من الراحة، نظر إلى «بن» المنهمك في عمله بكثير من الحقد، ألم يتعلم بالمنظمة أن الشرور هي الهدف، فما المانع لو شعر بشر الحقد تجاه زميله، ارتسمت بسمة ساخرة على جانب فمه ثم أكمل صعوده إلى أعلى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقف «آدم» أمام واجهة أحد المحال التجارية الشهيرة بلندن، ذائع الصيت بأن الملابس المعروضة فيه لا يمتلك ثمنها إلا صفوة المجتمع، تأمل المعروضات، قرر الدخول، سارع أحد العاملين بالتوجه نحوه ليعرض خدماته بأدبٍ جمٍّ، طلب منه «آدم» أن يستعرض بذلة معينة جذبت اهتمامه ضمن المعروضات بواجهة المحل، تأمل البائع هيئته، جسد رياضي ممشوق قامة طويلة، لكن هيئة لا تصلح ليكون قادرًا على ثمن إحدى منتجات المحل، رغم ذلك حدد القياس المناسب وأحضره له، قدَّم له الحُلة في برودٍ، بداخله شعور قوي نتاج خبرة سنوات في هذا المجال، أن هذا الزبون لن يشتري شيئًا، هو من هؤلاء الذين يتمنون ارتداء حلة باهظة الثمن، لكنهم لا يقدرون فتكون أقصى أحلامهم أن يرتدوها للحظات في حجرة القياس الضيقة، مر عليه هذا النموذج آلاف المرات من قبل، كان يشعر نحوهم بالشفقة فيما مضى، أما الآن فلا يجد في نفسه إلا الاحتقار لهذا النموذج فيضطر لمعاملتهم ببرودٍ حتى لا تظهر في عينيه نظرات تنم عن شعوره الحقيقي، تناول منه «آدم» الحلة في برودٍ مماثل، قرأ في عينيه نظرة عدم ثقة فتبسم في نفسه، لم يكن في حاجة كي يدخل إلى حجرة القياس، تأمل

الحلة ثم أعادها إلى البائع وشكره وانصرف، تبعه البائع بنظرة متعالية، عاد «آدم» إلى منزله ثم أعاد تكوين الحلة التي أعجب بها في محل الملابس، حين همَّ بارتدائها شعر وكأنه لص سرق هذه البذلة، لم يتمكن من تجربتها لبعض من الوقت، إن لم يكن سرق البذلة حقًّا فقد سرق مجهود المصمم والحائك والبائع، شعر «آدم» بالخزي، لكن شيئًا ما داخله أقنعه أخيرًا بارتدائها، هو لم يسرقها، بل أعاد تكوينها، ما الجريمة في ذلك، لقد تعب واجتهد ودرس حتى يصل إلى هذه القدرة، هو لم يسرق مجهودَ أحد ولا أمواله، ارتاح لوجهة نظره أخيرًا حين رأى أن الحُلة تليق به تمامًا، نظر في المرآة ليشعر بالسعادة لمظهره الجديد الراقي، نزل الدرج بملبسه الجديد، حينما رأته أمه أبدت انبهارها به،

تمنت أن تراه يومًا في بيته بين أبنائه، قبَّل جبينها قبل أن يخرج، حينما سألته عن وجهته أجاب:

- معرض سيارات رولزرويس يا أمي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هرول «بن» نحو أحد أجهزة القراءات حين أصدر صوتًا يدل على تغيُّر في القيم المسجَّلة، تأمل الشاشة في سعادة، كانت النتيجة في غاية الإبهار بالنسبة له، لم يكن يتخيل أن يصل إلى مبتغاه بهذه السرعة، فلم يمضِ على بدء عمله سوى ساعات قليلة، حدد إحداثيات المكان، كان شارع «إدجوار» هو المكان الذي تغيَّرت فيه الكتلة المسجَّلة، نادى على «جو» أيقظه ليتابع معه الجديد، ثم قرر فورا إبلاغ النتائج للمركز في (نيو يورك)، بدأ في عملية اتصال بقاعدة بيانات المركز، أرسل كل ما توصل إليه حتى الآن إلى «جورج».

راجع «جورج» النتائج التي وصلته من «بن»، ثم مررها إلى «السيد»، انتظر أن ترِده الأوامر بخصوص الخطوة التالية، أتاه اتصالٌ تليفونيٌّ، لم تظهر أي أرقام على شاشة الهاتف، وتم إبلاغه خلاله بالتعليمات بمراقبة شارع إدجوار عن كثب، سيتم دعمه أيضًا بعددٍ كافٍ من الأفراد والأدوات اللازمة، رتب «جورج» الأمر فورًا مع العائلة اللندنية بالمنظمة.

ولم يكن المندسون في حاجة لوقتٍ طويلٍ حتى يصلوا إلى «آدم».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٦)

تقتضي التقاليد بمنظمة «المدنسون» حين تبدأ اجتماعات «مجلس الخطايا» أن يدخل الأعضاء إلى قاعة الظلام طبقًا لترتيب أعمارهم، يدخل أصغرهم أولًا، ولهذا يكون «المدنس الأعظم» هو آخر من يدخل إلى القاعة لأنه أكبرهم سنًّا، قاعة الظلام تفتح وتغلق أبوابها من داخل القاعة وليس من خارجها أبدًا، حوائط القاعة عازلة للصوت، فلا يصل ما يدور بالداخل إلى خارجها على الإطلاق، منضدة الاجتماعات على شكل مربع، يجلس أمام ثلاثة أضلاع منها عضوان لكل ضلع، ويجلس «المدنس الأعظم» منفردًا أمام الضلع الرابع، القاعة مستطيلة الشكل، تقبع منضدة الاجتماعات في الجانب الأيسر منها، بينما على الجانب الأيمن، ينتصب مجسم لشعار المنظمة المتمثل في دائرة سوداء قاتمة تتوسطها عين دائرية واحدة ذات لونٍ أسود أقل قتامة وفي المنتصف تمامًا حفر صغير يمثل رسم جانبي لرأس «ابن آوي»، يرتفع الشعار إلى مستوى طول الإنسان العادي، جدران القاعة سوداء اللون، بها إضاءة خافتة، اجتمع مجلس الخطايا هذه المرة بناء على أمرٍ من «المدنس الأعظم» لمناقشة أمر «آدم»، هذا الباحث الذي أربك حسابات المنظمة بشأن مراقبة علامات ظهور «المسيخ» تلميذ معبودهم «الشيطان»، «غسان الأدنس» سكرتير «المدنس الأعظم» في المنظمة هو العربي الوحيد الذي تمكن من الوصول إلى هذا المنصب منذ إنشاء المنظمة، حرص بناء على تعليمات «السيد» أن يرسل إلى أعضاء «مجلس الخطايا» تفاصيل كافية عن أمر «آدم» قبل الاجتماع بأربع وعشرين ساعة ليعلم الأعضاء تفاصيل سبب الاجتماع، يجب أن تبدأ كل اجتماعات

المجلس بدقيقة صامتة يتلو فيها كل عضو ترنيمة «الدنس» ثم يبدأ «السيد» الحديث دائمًا بتوضيح سبب الاجتماع وعرض التفاصيل المتاحة، بعد ذلك يمنح كل عضو الفرصة لإبداء تعليقه بنفس ترتيب دخولهم للقاعة، داخل قاعة الظلام لا توجد أسماء، كل عضو في المجلس يتم تسميته باسم خطيئة من الخطايا الكاردينالية السبع، وهي الخطيئة التي يكون مسئولًا عن نشرها بين الناس، بدأ «الرغبة» في الحديث وطالب بسرعة التخلص من «آدم» وعرض أن يوقع في طريقه واحدة من نجمات الأفلام الإباحية التي يعد أكبر منتج لها، لتدس له السم في الشراب، أيّد «الشراهة» مقترح زميله وطالب أن يكون التخلص من «آدم» في أسرع وقت ممكن، لم يشذ «الجشع» عن مقترحهم، وكان متحمسًا له بشدة، تردد «الكسل» قبل أن يبدي رأيه لكنه حين شارك لم يزد عن كلمة (موافق)، أما «الغضب» فطالب أن يتم قتل «آدم» بتفجير سيارته، انحاز «الحسد» إلى الرأي الأول، وحين وصل الأمر إلى «المدنس الأعظم» وكان مسئولًا عن خطيئة «الغرور»، تبسم في ثقة:

- ألم يقرأ أي منكم الملف الذي أُرسل إليه يا سادة؟، الرجل يستطيع أن يصنع نسخًا من الأشياء بمجرد النظر إليها.

ساد الصمت في القاعة وكأن رسالة «السيد» لم تصلهم بشكلٍ واضحٍ، جال ببصره بينهم ثم توقف عند «الجشع»:

- أخبرني يا عزيزي لو امتلك فرد عادي هذه الميزة، ما الذي سيصنعه بها؟

شعر الرجل بقليل من الارتباك بدا حين زاغ بصره لثانيتين ظهرت خلالهما قطرة عَرَق على جبينه قبل أن يجيب:

- سيبدأ في نسخ الأموال والسيارات والقصور لمتعته.

أشار له «السيد» بسبابته وهو يعلق بصوت قوي:

- أصبت، ألا يذكِّرك هذا بخطيئة ما؟

- الـ.. جشع؟

- تربح يا عزيزي.

عاد «السيد» يجول ببصره بينهما ثم توقف عند «الحسد»:

- لو امتلك جارك هذه الميزة وبدأ يرفل في الثراء والنعيم، ماذا ستتمنى في نفسك؟

سارع «الحسد» في الإجابة بحماس:

- سأحسده على هذه النعم وأتمنى أن أنالها بدلًا منه.

ارتسمت ابتسامة الزهو على محيا «المدنس الأعظم»:

- لدينا رابح آخر.

توجه إلى «الكسل»:

- لو نعمت بالقصور والأموال والسيارات الفارهة، وربما الطائرات الخاصة؟

فهم الرجل المغزى فورًا:

- سأتوقف عن العمل في الحال وأنعم بإجازة طويلة وأتلذذ بالكسل والخمول بلا شك.

لم ينتظر «الجشع» حتى يصل إليه «السيد» بالسؤال وبادر:

- والمؤكد أني سأرغب في المزيد من هذه الرفاهية، وكلما حصلت على جديد حلمت بما يزيد.

اطمأن «السيد» إلى أن فكرته وصلتهم واضحة، فسأل الجميع:

- أخبروني يا سادة، أيهما أكثر نفعًا لأهداف المنظمة، أن نتخلص من «آدم» بالسم أو التفجير؟، أم نحصل على سِرّ قدرته وننشرها بين الناس؟

خجلوا من التعليق بعد أن بيَّن لهم قصورهم في التفكير، فاستطرد:

- انتشار هذه القدرة بين البشر، سيسرع من وتيرة انتشار الدنس في الأرض، أليس هذا الهدف من هذه المنظمة؟ أم تراكم نسيتم؟

غمغم «الغضب»:

- بالطبع لم ننسَ، وكلنا يسعى جاهدًا من أجل هذا الهدف حتى يظهر «المسيخ» ليحكم الأرض وتسود الشرور.

اعتدل «المدنس الأعظم» في جلسته:

- عظيم أيها السادة، إذًا سيكون الهدف من الآن هو ضم «آدم» إلى خدمة المنظمة.

استند «الرغبة» بكوعه إلى المنضدة:

- دعني أرسل له «ريتا»، لن يتمكن من مقاومتها..

قاطعه «الجشع»:

- سحر المال يا عزيزي سيكون له الصوت الأعلى.

شعر «الرغبة» بالضجر من مقاطعة «الجشع» له:

- وهل تظن أنه لا يمكنه أن يمتلك ما شاء من أموال يا رجل؟ يستطيع في دقائق أن ينال جبلًا من الذهب.

رفع «السيد» يده اليمني فصمت الجميع على الفور:

- دعوا هذا الأمر لي، «آدم» من أصل عربي، وهم قوم تؤثر عليهم عاطفتهم أكثر من عقلهم، سأرسل له «غسان الأدنس»، سيعرف كيف يتحدث معه بالطريقة الأنسب، لأنه عربي مثله.

أشار «الجشع» بيده كي يلفت انتباههم لحديثه:

- لكن المعلومات التي وصلتنا تفيد أنه ولد وتربى في إنجلترا، كما أنه باحث متميز في مجاله، ووالده أيضًا رجل علم وطباعه عملية جدًّا، مما يعني أن مسألة تغلب عاطفته على عقله هذه قد يكون فيها نظر.

تبسم «السيد» في هدوءٍ:

- الأصل غلاب يا عزيزي، العرب خاصة مهما عاشوا في بلدان أخرى يحتفظون بأصولهم داخلهم حتى الممات.

همَّ «الغضب» بالحديث وظهرت علامات الضيق على وجه «الرغبة»، لكن نظرة من «السيد» قتلت حديث «الغضب» وضيق «الرغبة» والزمت الباقيين الصمت التام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عاد «آدم» إلى منزله مساء اليوم التالي بعد عشاء مع «ندى»، صف سيارته البيضاء الفارهة الأحدث في فئتها، أمام المنزل وهبطَ منها، قبل أن ينتهي من قطع المسافة بين السيارة وباب المنزل، استوقفه رجل أربعيني له شعر أشيب ولحية صغيرة من النوع الذي يطلق عليه «دوجلاس» طويل القامة، عريض الجسد، صوته يشبه الفحيح، وأسنانه صفراء بنفس لون ابتسامته، نظر له «آدم» في تساؤل، مدَّ الرجل يده بالمصافحة:

- أعتذر عن اقتحامي ليلتك السعيدة، لكن ربما جعلت زيارتي ليلتك هذه الأسعد بين كل لياليك.

حتى هذه اللحظة لم يكن «آدم» قد مدَّ يده ليد الرجل الممدودة:

- كيف أخدمك أيها السيد؟

نظر الرجل إلى يده الفارغة حتى الآن من مصافحة «آدم»، ثم ابتسم وهز رأسه:

- دعني أعرفك بنفسي يا عزيزي، يسمونني «غسان»، ولديّ لك عرض، أظن أنه أصعب مما يمكن رفضه.

رفع «آدم» ذقنه لأعلى قبل أن ينظر للرجل من طرف عينيه، ثم وضع يديه في جيب سرواله:

- حتى هذه اللحظة لم أجد لديك ما يبرر سلوكك الغريب هذا أيها الرجل.

- إذًا دعني أدعوك لكأسٍ من الشراب ونتحدث فيما لدي.

صمت «آدم» لبعض الوقت، مد ذراعه مشيرًا لـ «غسان» أن يسبقه، تبسم الرجل وتحرك في اتجاه سيارته:

- دع سيارتك يا دكتور وتفضل لمشاركتي سيارتي.

توقف «آدم»:

- أفضل أن أتبعك بسيارتي.

التفت له «غسان» مبتسمًا:

- اطمئن يا دكتور، ليس في نيتي أي أذي، وسواء سارت مقابلتنا على ما يرام أم لا سأعيدك إلى منزلك سالمًا.

ابتسم «آدم» في سخرية:

- دعني أخبرك أمرًا يا «غسان»، أنا رجل لا يخشى شيئًا على وجه الأرض، وثقتي في الآخرين لا تغادر رقم صفر على الإطلاق، إذا أردت أن نتحدث فدعنا نفعل ذلك هنا والآن في سيارتي، خلاف ذلك، سيكون مضيعة لوقت كلينا، بالإضافة إلى أنك لم تنجح حتى الآن في إثارة فضولي.

شعر «غسان» بالكراهية نحو «آدم» فهو يبغض الإخفاق، وتثير حنقه كلمة «لا» بأي صورة كانت، أراد لو زارت قبضته وجه «آدم» فلا تتركه إلا بأنف مفري وعيون متورمة، يستمتع لمنظر الدماء، ويتلذذ بأذى الآخرين، لكن قيد أوامر «السيد» بالحفاظ على سلامة «آدم» منعه من فعل ذلك، لم يجد بُدًّا إلا من الاستسلام لرغبة «آدم»، فردَ ذراعه على طولها وهو ينظر لـ «آدم»:

- من بعدك يا دكتور.

تحرك «آدم» في اتجاه سيارته، فتحها وركب دون أن يدعوه للدخول، اشتعل الغضب في نفس «غسان» من استفزاز «آدم»، أجبر نفسه على تحمُّل تلك السخافات لعله ينجح في مسعاه لإقناع «آدم»، ركب السيارة وترك بابها مفتوحًا، تأمل السيارة من الداخل:

- أحدث موديل، لابد أنها باهظة الثمن.

نظر له «آدم» ببرود:

- أذكر أنهم في سنوات دراستنا الأولى علمونا درسًا مهمًّا عن أهمية الوقت، هل تذكره؟

ابتلع «غسان» الإهانة مضطرًا بوجه محمر وعروق منتفخة:

- اسمع يا دكتور، أنا رجل يدرك ما يفعل ويعي تمامًا تصرفاته، وأنت رجل ذو مواهب هامة، وحديثنا لن يصل إلى نتيجة بهذه الطريقة، دعنا نكن ناضجين بما يكفي حتى نتجاوز هذه التصرفات الصبيانية.

صمت ليرى رد فعل «آدم» الذي نجح في عدم إظهار أي ملامح على وجهه رغم أنه تساءل في نفسه عن المواهب التي يقصدها «غسان» لكنه استمر في صمته، ما دفع «غسان» أن يكمل حديثه:

- أنت رجل لا ينقصه المال، ولا الموهبة، لكن ينقصك القوة، والنفوذ، وكما تعرف، فالحياة عرض وطلب، وكل شخص في حاجة لما يملكه شخص آخر وهذا الآخر في حاجة لما يملكه الأول، ومع بعض التعقل، يحدث اكتمال للمنفعة لدى كل منهما.

شعر «آدم» بالضجر من هذا الحديث الممل، تعمد أن يترك لشعوره الحرية كي يسكن وجهه، لم يهتم «غسان» وأكمل:

- أنا أعرض عليك القوة والنفوذ، بلا حد، أعرض عليك باختصار أن تكتمل وتملك وتسيطر على كل شيء في الحياة.

أخيرًا كان صمت «غسان» بداية لتعليق «آدم» الذي خرج صوته مترددًا بعض الشيء:

- وكيف ستمنحني هذه القوة وهذا النفوذ؟

تبسم «غسان»، وثق في نفسه أن كل إنسان مهما كان قويًا سيضعف أمام فكرة الاكتمال، لا يوجد على وجه الأرض من

يرفض القوة والنفوذ وهو يملك الثروة فيكتمل لديه مثلث الأحلام، بينما حالة «آدم» تزيد ضلعًا رابعًا بموهبة «آدم» الفريدة:

- يسعدني أن أجيب سؤالك يا دكتور، لكن هناك من هو أجدر منّي، وهو متحمس لمقابلتك من أجل هذه الإجابة، وصدقني ستكون مقابلتك له لحظة تحول في حياتك لا تنساها، ستصبح بعدها فوق قمة العالم، ستنال مجدًا لم ينله قبلك أحد.

بدأ ضعف «آدم» الإنساني الطبيعي يتسلل إلى نفسه، تخيل للحظة ماذا لو كان العرض حقيقيًا؟، ولكن ما هو المقابل؟، اشار «غسان» لموهبة «آدم» مرتين حتى الآن دون أن يوضح قصده، أخيرًا امتلك الفضول نفس «آدم»:

- من هو هذا الشخص، ومتى يمكنني مقابلته؟، وماذا يطلب في المقابل؟

خرج «غسان» من السيارة وهو يقول:

- سيصلك منه اتصالٌ في خلال أيام على الأكثر، لا تتعجل.

هبط «آدم» من السيارة وتابع ابتعاد «غسان» حتى وصل إلى ليموزين فاخرة، هرول سائقها الذي يشبه الحراس الشخصيين يفتح له الباب:

- لم تخبرني، ما هو المقابل؟ لا يوجد شيء مجاني في الحياة.

أشار «غسان» له علامة الوداع ووجهه تعلوه ابتسامة حقيقية هذه المرة، ثم دخل إلى السيارة ليبتعد ومعه راحة بال «آدم».

تلقى «السيد» مكالمة من «غسان» فور تحرُّكه بالسيارة، شعر بالفخر لحسن اختياره، كانت المهمة لتفشل لو قام بها شخصٌ

آخر غير «الأدنس»، بعد أن أنهى اتصاله مع «غسان» رفع سماعة الهاتف الداخلي وطلب «سارّة»، أمرها أن تنهي الاستعدادات اللازمة لمغادرة طائرته الخاصة من مطار «اللد» إلى «لندن»، أسند ظهره إلى المقعد والسعادة تتغلل في نفسه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- «آدم».. «آدم»، لماذا لا ترد؟

انتبه «آدم» على صوت «ندى» فنظر لها متسائلًا:

- هل تناديني يا دكتورة؟

ارتفع حاجبا «ندى» واتسعت عيناها:

- هل أناديك؟!، أنت لا تسمعني منذ بعض الوقت يا «آدم»، لقد ناديتك أكثر من مَرَّة ولم تجب.

تنهد «آدم» وتراجع بظهره إلى الوراء ليستند إلى المقعد، مسح لحيته، لم يجد كلمات مناسبة يرد بها، فاكتفى بهز رأسه علامة «لا شيء»، ربتت «ندى» كتفه والحنان يتسلل إلى صوتها:

- ما بك يا حبيبي؟، منذ فترة وأنت شارد، تغيبت عن الجامعة يومين، لا تجيب اتصالاتي، هل لديك ما تخفيه عني؟

نهض «آدم» من مقعده، خطا خطوتين في اتجاه النافذة، نظر إلى السماء من خلف الزجاج، إنها مدينة الضباب، حيث لون الغيوم الرمادي هو ملك اللوحة، راقب غيمة تدفعها ريح خفيفة، لماذا لا تتحكم الغيمات في مصيرها ويترك الأمر للرياح؟، لكن الرياح أيضًا لا تتحكم في نفسها، بل تسيطر عليها الحرارة، كل شيء تتحكم فيه قوى أخرى، لا أحد يملك السيطرة المطلقة، لا شيء يملك القوة اللازمة للتحكم في كل شيء، وحده

«آدم» لديه الفرصة، يمكنه أن يمتلك النفوذ والسيطرة والقوة، ولديه أيضًا الموهبة، أي موهبة قصدها الزائر الغريب؟ هل كان حقًّا يدرك ما يملكه «آدم» من قدرة غير مسبوقة؟ أم أنه كان يقصد شيئًا آخر؟، لكن أي شيء يملكه «آدم» يمكن أن يكون مقابله القوة والنفوذ؟ شعر أنه يعرف الإجابة لكنه عاند نفسه ورفض الاعتراف بما فهم، لا يمكن أن يكون «غسان» ومن ورَائِه يعرفون ما يملك «آدم»، هذا الأمر لم يخرج عن ثلاثة هو أحدهم، ولا يمكن أن يكون السر قد خرج من أبيه، هذا هو المستحيل ذاته، وجد نفسه يلتفت دون إرادة منه وينظر إلى عين «ندى»، هل خرج سرهم من هذا الباب؟ كان يظن أن باب «ندى» موصدٌ كالفولاذ، أي عبثٍ هذا؟، كيف يشك فيها وهي حبيبته وصديقته ومساعدته، لا توجد مستحيلات في الحياة، فهل تكون «ندى» تأكيدًا لهذه القاعدة؟ هل يحدث المستحيل وتكون «ندى» هي من فتحت صندوق بندورا كما وصف أبوه موهبته.

- لا يمكن يا «آدم»، إلى هذه الدرجة بلغ شرودك؟

اقترب «آدم» منها، وضع كفيه على كتفيها:

- «ندى»، إلى أي مدي تبلغ ثقتك في؟

اضطربت دقات قلب «ندى»، ما مغزى هذا السؤال؟، تولدت الدهشة على ملامحها:

- بلا حد يا «آدم».

- عظيم، وماذا عن ثقتي فيكِ؟

نظرت «ندى» إلى عينيه في حيرة، تحاول أن تقرأ أفكاره، للأسف لم تتمكن هذه المرة من الإمساك بفكرة واضحة في ذهن «آدم»

فكل أفكاره مشوشة ومضطربة:

- أنت وحدك من يمكنه الإجابة على هذا السؤال يا دكتور.

تحرك «آدم» من جديد نحو النافذة:

- ما هي احتمالات أن يعلم أي شخص عن تجربتنا؟

بدأ بعض الشك يتسرب إلى نفس «ندى» من أسئلة «آدم» هذه، ذكية هي بلا شك وتستطيع أن تستوعب إلى ما يرمي، قررت مجاراته في الحديث حتى تفهم منه:

- الاحتمال صفر يا عزيزي.

دار «آدم» لينظر إليها من جديد، صمت قليلًا قبل أن يضيف:

- صحيح، الاحتمال «صفر» فلا يمكن أن يتحدث أي من ثلاثتنا عن هذا السر مع أحد ولو بالمصادفة.

عقدت ذراعيها واحتد صوتها:

- كن مباشرًا يا «آدم» وأخبرني بهدفك من هذه الأسئلة، وما هو سر شرودك في الأيام الأخيرة؟

نزع عنه معطفه الأبيض، تناول حقيبته واتجه نحو الباب خارجًا:

- ليس الآن يا حبيبتي، سأشرح لكِ لاحقًا.

حاولت أن تستوقفه، لكنه قطع المسافة نحو الباب بخطى واسعة جعلته يخرج قبل أن تستكمل معه الحوار، جلست إلى أقرب مقعد لها، ما الذي دفع «آدم» لأسئلته هذه؟، ما سر تصرفاته الغريبة في الأيام الثلاثة الماضية؟، لماذا أشار إلى السر الذي يجمعهما بوالده؟، هل تسرب سرهما إلى أحد؟، قتلت

الأسئلة شعورها بالراحة، أصابها القلق، لا تدري ماذا تفعل، خطرت برأسها فكرة ما، خرجت من الغرفة وتوجهت إلى مكتبها عاقدة العزم على تنفيذها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قاد «آدم» سيارته على الطريق السريع المتجه من «لندن» إلى مقاطعة «بيركشاير» قاصدًا مدينة «ويندسور»، قطع المسافة خلال ساعة ونصف بسيارته الحديثة، وصل إلى تل «سنو هيل»، صف سيارته وظل جالسًا بها منتظرًا اتصالًا هاتفيًّا يخبره بوجهته التالية، نظر إلى هاتفه ليتأكد من التقاطه للشبكة المناسبة، ارتسمت على شاشة الهاتف الأرقام التي تشير إلى الساعة الحادية عشرة صباحًا، يحب أن يحترم مواعيده، وضع الهاتف على المقعد المجاور له في ضيقٍ، تأمل المكان حوله، لم تكن زيارته الأولى للمكان، لكنه لم يستطع الاستمتاع بالخضرة التي تزينه، أعاد النظر مَرَّة أخرى إلى شاشة الهاتف، كم هو ممل الانتظار، كم هو ثقيل الوقت فلم تمضِ سوى دقيقة واحدة منذ وصل، قبل أن يعيد الهاتف إلى المقعد أصدر رنين استقبال مكالمة، ومثل الاتصال الذي أتى به إلى هنا لم يظهر رقم على الشاشة، فتح الخط وقبل أن يتحدث أتاه صوتٌ يعرفه يشبه الفحيح:

- في موعدك تمامًا يا دكتور، غادر سيارتك من فضلك، واسلك طريق «ذا لونج واك» باتجاه «قلعة ويندسور» وانتظر منّي مكالمة أخرى.

أراد «آدم» أن يبدي اعتراضه على هذه الطريقة، لكنه لم يتمكن من ذلك فقد انقطع الاتصال، امتعض وجهه، أطلق زفيرًا ثقيلًا، غادر سيارته وتأكد من إحكام غلقها، تمشى في الطريق الزاخر

بأشجار البلوط وكستناء الحصان، هل سيتركونه يسير ما يزيد على أربعة كيلو مترات قبل أن يصل إلى القلعة؟ أم سيأتيه اتصالٌ جديدٌ يغيّر وجهته مَرَّة أخرى؟، قرر أن يستمتع بالطبيعة المحيطة حتى يصل إلى المكان المنشود، يزدحم الطريق بالسياح من كل مكان في العالم، فهذا المكان يقصده سنويًّا ما يزيد على سبعة ملايين سائح، استطاع أن يميز عددًا من اللغات تدور بها أحاديث بين السائرين حوله، أمامه مباشرة كان يسير رجلٌ عجوزٌ يستند إلى عصا أبنوسية مرصعة بأحجار كريمة، يسير ببطء بقدر ما سمح به عمره، مر من جواره، نظر له العجوز مبتسمًا:

- مرحبًا دكتور «آدم».

كاد «آدم» أن يتوقف عن السير، بادره العجوز:

- أرجوك شاركني هذا الطريق لبعض الوقت، أحب أن نتحدث قليلا.

استمر «آدم» في الحركة:

- معذرة يا سيدي، فأنا في انتظار شخص آخر.

نظر العجوز إلى الأرض ليتخير مكانًا مناسبًا يدب فيه عصاه:

- إذا كنت تقصد الشخص الذي حدثك عنه «غسان» فيشرفني أن أكون هذا الشخص الذي تتعجل لمقابلته بهذا الشكل.

أبطأ «آدم» خطواته لتتناسب مع خطوات العجوز، نظر له يتأمله:

- إذًا فقد تقابلنا أخيرًا.

ابتسم العجوز وهو ينظر إلى «آدم»:

- عيناك يسكنهما لمعان الذكاء يا دكتور كما توقعت، هذا سيوفر علينا وقتًا طويلًا.

لم يبدِ «آدم» أي رد فعل على كلمات الرجل:

- إذًا دعنا نوفر مزيدًا من الوقت ونقتل المقدمات التي لا لزوم لها.

اتسعت ابتسامة الرجل:

- يعجبني هذا النوع من الرجال يا دكتور، يطلقون على اسم «السيد» فلم تعد للأسماء أهمية في عمري هذا، أنتمي لمجموعة تهتم لخير الإنسانية بشكلٍ ما.

قاطعه «آدم»:

- أي مجموعة هذه؟

توقف «السيد» والتفت ليواجه «آدم»:

- هذا سؤال خاطئ يا دكتور، لا يهم هنا المجموعة أو الطائفة أو المنظمة التي أنتمي إليها، كنت أتمنى لو سألتني عن الخير الذي نتمناه للناس، لكن هذا السؤال سيدفع بنا إلى إشكالية عويصة عجز الفلاسفة عن الوصول لحل لها.

استثار حديث «السيد» ذهن «آدم»:

- أي إشكالية تقصد؟

استند «السيد» بيديه الاثنتين على عصاه:

- ما هو الخير؟ وما هو الشر؟

شعر «آدم» ببعض الارتباك فقد كان يظن أن الإجابة بديهية:

- كنت أظن أن إجابة كهذه لا تشكّل عقبة، فالخير والشر ضدان من السهل التفرقة بينهما.

استأنف «السيد» طريقه فتبعه «آدم»:

- الخير والشر ليسا ضدين ولا عدوّين يا «آدم».

تنحنح في حرج:

- هل تسمح لي برفع الألقاب ومناداتك باسمك مجردًا؟

هز «آدم» رأسه إيجابًا، فاستكمل «السيد» حديثه:

- الخير والشر صديقان أكثر مما نظن، كل منهما يحرص على وجود الآخر، فلا يمكن أن تطلق على فعل ما أنه خيرٌ إلا إذا قارنته بفعلٍ آخر يطلق عليه شرًا، والأغرب يا عزيزي أن نفس الفعل قد يحمل كلا الوجهين معًا، وما تراه أنت خيرًا قد أراه أنا شرًّا أو العكس، كما أن الفعل الواحد نفسه قد يكون طيبًا في ظروفٍ ما، وسيئًا في ظروف أخرى، ألا يجعلنا هذا نتساءل يومًا عن هذه الطبيعة الملغزة للأشياء؟

أثار حديث «السيد» عاصفة من الاضطراب في ذهن «آدم»:

- اعذرني أيها «السيد» فلم تخطر ببالي هذه التساؤلات من قبل، فأنا كما هو واضح أنك تعلم رجل علم ولست رجل فلسفة.

اتسعت ابتسامة «السيد»:

- ألا تسمع عما يطلق عليه «فلسفة العلوم»؟ أظن أن مواطنًا من بلدك كان أول من درسها في القرن الماضي من المصريين، ألم يكن اسمه «مصطفى مشرَّفة»؟ وكان أيضًا رجل عِلم بما يكفي لينال إعجاب عالم بمكانة «أينشتاين»، بالمناسبة ألم يكن علم

«أينشتاين» خيرًا للبشرية؟ لكن هذا الخير أنتج لنا شرًّا خالصًا متمثلًا في القنبلة النووية، هل صدقتني الآن؟

هز «آدم» رأسه وكأنه يطرد منها الأفكار التي يزرعها فيها «السيد»:

- أظن أننا بهذه الطريقة لا نحافظ على الوقت أبدًا يا سيدي.

- بالعكس يا عزيزي، وصولنا إلى نقطة اتفاق يوفر علينا وقتًا طويلًا فيما بعد.

هذه المرة توقف «آدم»:

- أرجو أن تخبرني بوضوح، ما هو الغرض من هذه المقابلة؟

توقف أيضًا «السيد»:

- أولًا أرجو أن تعذرني إذا لم أفصح عن مصدر معلوماتي، ودون إهدار مزيدٍ من الوقت، أنا أريد أن نستفيد سويًّا من موهبتك التي أمتلكتها في الفترة الأخيرة.

تنهَّد «آدم» فقد فهم أخيرًا المقابل الذي يطلبونه:

- أي موهبة تقصد؟

رغم عنه قهقه «السيد» بصوت مسموع:

- كنت أتمنى أن تحترم ذكائي أكثر من هذا، أنا أقصد موهبتك في إعادة تكوين الأشياء بمجرد النظر إليها، وللمرة الثانية أذكِّرك ألا تسألني عن مصدر معلوماتي، فالمجموعة التي أتحدث باسمها لديها من الإمكانيات ما يجعلها تصل إلى أي معلومة تريد، وكما أشرت في حديثك مع «غسان» لا شيء في الكون مجانيّ، ستنال في المقابل نفوذًا لا حد له، وسلطة لا تقارن.

صمت قليلًا ليلتقط أنفاسه:

- هل تسمح لي بالجلوس على هذا المقعد، فقد أتعبني السير الطويل.

وقبل أن يجيب «آدم» توجَّه الرجل نحو المقعد وجلس واضعًا رِجلًا فوق الأخرى وأسند يديه إلى عصاه، ثم استمر في حديثه:

- أخبرتك منذ قليل أننا نسعى لخير البشرية، وموهبتك هذه بقدر ما هي رائعة، هي أيضًا خطيرة، لهذا يجب أن تُستثمر عن طريق أشخاص نثق في نواياهم، نتأكد أنهم لن يفسدوا الأمر مثلما يفعل أغلب البشر بهدايا الطبيعة لهم، لهذا أنا أعرض عليك أن تنضم إلينا كي تتأكد بنفسك من حسن استغلال هذه الموهبة، وتنال في المقابل ما شئت.

جلس «آدم» بجوار «السيد» على المقعد، استند بكوعيه إلى فخذيه:

- ماذا لو رفضت عرضك الكريم هذا؟

- شأنك يا عزيزي، لكن ألا ترى معي أن العلم يوجد كي يستفيد به الناس، بدلًا من التخلص منه، ألا ترى أن ما توصلت إليه أعظم بكثير من أن يتوقف استخدامه على نسخ سيارة وبذلة؟

نهض «آدم» واضعًا يديه في جيوب بنطاله:

- مادام الأمر شأني، فاستخدامه أيضًا شأني وحدي، اسمح لي.

تحرك «آدم» مبتعدًا، لكن «السيد» استوقفه:

- تصرفك هذا يؤكد كلامي السابق يا دكتور، لديك موهبة خير، وكتمانك لعلمك هو شر، كلاهما مرتبطان أبَد الدهر.

استدار «آدم»:

- بذكرك «أينشتاين» أذكرك أنا أن كل الأشياء في الكون نسبية، وكما أوضحت أنت أن الخير والشر يسكنان معًا نفس الشيء، وتقدير نسبة الخير والشر في اكتشافي تخضع لتقييمي وحدي.

نهض «السيد» واقترب من «آدم»:

- لا تتعجل الحكم على الأمور يا صديقي، سأدع لك وقتًا للتفكير، سأعاود الاتصال بك قريبًا لأعرف قرارك الأخير، سعدت بالتحدث إليك.

غادر «السيد» المكان فاتجه «آدم» نحو سيارته وكلمات «السيد» تتردد داخل ذهنه، وشجرة الأفكار تنمو وتتفرع داخل جنبات نفسه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فتح الدكتور «عبد الرحمن عز الدين» باب منزله، كالعادة حينما شعرت به زوجته «رقية» هرولت لتستقبله في حضنها، تبادلا قبلتين على الوجنتين، لف يده على كتفها فلفت يدها على وسطه وسارا معًا نحو حجرة المعيشة، سألها عن «آدم» فأخبرته أنه بحجرته منذ ساعات، صمت قليلًا فشعرت بالقلق، سألته عما يشغل باله، حافظ على صمته إلا من كلمات تطمئنها، لكن صوت قلقها كان أعلى من كلماته، نهض متجهًا إلى حجرة «آدم»، وجده على سريره شاردًا، فاعتدل حين دخل أبيه الغرفة، جلس بجواره:

- ما بك يا ولدي؟

رسم «آدم» ابتسامة مصطنعة على وجهه ليبث الطمأنينة في نفس أبيه:

- لا شيء يا أبي، أنا بخير والحمد لله.

ربت «عبد الرحمن» على صدر ولده:

- أنا أدري بهذا الصدر حين يضيق يا بني، كما أن اتصال «ندى» أثار قلقي للغاية عليك.

اعتدل «آدم» في جلسته:

- «ندى»؟.. ما الذي قالته لك؟

قلب «عبد الرحمن» كفه في حيرة كمن لا يعرف من أين يبدأ كلامه:

- لم تقل الكثير يا ولدي، هي قلقة عليك، وأرادت أن تشاركني قلقها كي نطمئن لا أكثر.

وضع «آدم» كفيه على يدي أبيه:

- يا أبتِ، سر اكتشافنا لم يخرج عن ثلاثتنا وهذا أمر أثق به كما أراك الآن، فكيف إذًا عَلِم آخرون بما توصلنا إليه؟

اتسعت عينا «عبد الرحمن»:

- هل عرف أحد بقدرتك على إعادة التكوين؟ كيف حدث هذا؟ ومن هو؟

- هذا هو سر شرودي يا أبي، وكي أكون أكثر صراحة معك، أنا أشك أن «ندى» هي من سربت سرنا.

هز «عبد الرحمن» رأسه إنكارًا:

- غير معقول يا «آدم»، لا يمكن أن تقدم «ندى» على فعل كهذا.

تنهَّد «آدم»:

- فسر إذًا الموقف، أحدهم زارني ليعرض عليّ استغلال قدرتي على إعادة التكوين مقابل نفوذ وسُلطة، من أين عرف؟

لم يجد «عبد الرحمن» ما يجيب به فصمت، قام «آدم» من مكانه واقترب من النافذة، أسند مرفقه إلى حافتها وأراح كفه فوق رأسه:

- ماذا أفعل يا أبي؟، الشك سيقتلني.

نهض «عبد الرحمن» ووقف بجوار ابنه في مواجهة النافذة ووضع يده على كتفه:

- دع أمر «ندى» لي وأخبرني من هو الشخص الذي تواصل معك وماذا دار بينكما؟

شرح «آدم» كل شيء بالتفصيل لوالده الذي سكنت وجهه علامات الانزعاج، صمت قليلًا ثم أشار على «آدم» بضرورة التخلص من وثائق البحث المحفوظة بالخزينة الخاصة بأحد البنوك فورًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٧)

اتصالا آخر يرد إلى «آدم» بدون رقم، عرف المتصل بلا جهد، فلا ترده مكالمات بلا هوية إلا من «السيد» أو من رجله «غسان»، تردد في الإجابة على الاتصال، ظل الرنين متصلًا حتى انقطع بعد دقيقة، لم يدرِ ماذا يمكن أن يتحدثا بشأنه في هذه المكالمة، فقد رفض عرض «السيد» من قبل، فما الذي يمكن أن يغيره هذا الاتصال؟، قرر غلق الهاتف نهائيًّا حتى يتهرب من استقبال تلك المكالمات، فكر أيضًا في تغيير رقم هاتفه، لكنهم يعرفون طريق منزله ومكان عمله، غرق في أفكاره، هل حقًّا يمكن أن تساعده هذه الجماعة في تحقيق هدفه؟ أم تستخدم اكتشافه في أعمالٍ لا يوافق عليها؟، شك أنه يمكنه السيطرة على الموقف لو نقل خبراته لآخرين، شعر بصداعٍ حادٍ نتيجة عدم توقف عقله عن العمل منذ أيام، حتى أثناء نومه زارته الكوابيس التي خلعت سلطان النوم عن عرش عينيه، قرر أن يعود إلى المنزل كي يحصل على بعض الراحة، حين اقترب من السيارة لمح «غسان» مستندًا إليها، أبطأ خطوته مترددًا، رسم «غسان» على وجهه ابتسامته المصطنعة وبفحيحه المعتاد:

- حينما لم ترد اتصالاتي قررت أن أزورك بنفسي.

اقترب منه «آدم» وقد قطب حاجبيه وظهرت على وجهه علامات الضيق:

- لقد انتهى اتفاقنا يا سيد «غسان»، فعرضكم لم يلقَ قبولًا لدي.

ابتعد «غسان» عن السيارة قليلًا مقتربًا من «آدم»:

- لكنك لم تعرف تفاصيل عرضنا بعد يا صديقي.

رفع «آدم» كفه في وجه «غسان» كي يمنعه من الاسترسال في الحديث:

- لسنا أصدقاء يا سيد.

أعاد «غسان» رَسْم ابتسامته الصفراء فوق ملامحه:

- تخيل يا دكتور أن تترأس مركزًا كاملًا لأبحاث الباراسيكولوجي لتستكمل أبحاثك بالطريقة التي تريد.

ابتسم «آدم» بجانب فمه في سخرية:

- يمكنني إعادة تكوين أحدث مراكز الأبحاث في العالم، ولو عجزت عن نسخه يمكنني امتلاك ما أشاء من أموالٍ كي أمتلك أحدث تقنيات متاحة.

دار حول السيارة كي يفتح بابها، لكن «غسان» وقف في طريقه:

- نسيت أمر النفوذ الذي ستحصل عليه، نسيت المجد الذي سنساعدك على بلوغ قمته في زمن قياسي، نسيت ما يمكننا توفيره لك من سُلطة بلا حدود.

دفع «آدم» كتف «غسان» برفق كي يفسح لنفسه مجالًا للوصول إلى باب السيارة، دلف إلى سيارته وأدار المحرك، فتح النافذة القريبة من ناحية «غسان»:

- لم أعد مهتمًا يا رجل.

استوقفه «غسان»:

- نحن لا نجد كلمة «لا» في قاموسنا يا صديقي.

نظر له «آدم» شذرًا ثم انطلق بالسيارة والغضب يتقافز على ملامح «غسان»، أخرج هاتفه وطلب رقمًا، وحين أتاه الرد:

- نفذ ما اتفقنا عليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- «ندى»، لقد اختطفوا والدي.

تلك كانت الكلمات الأولى التي ألقاها «آدم» على مسامع «ندى» عبر الهاتف، ارتعش جسدها بقوة ولم تقوَ قدماها على حملها فسقطت على المقعد المجاور:

- مم.. من؟، ماذا قلت؟

انقطع اتصال «آدم» فشعرت «ندى» بخوف شديد، لفت ذراعيها حول جسدها، حاولت إعادة الاتصال على «آدم» لكنه لم يجب، بعد قليل تحاملت على نفسها ونهضت كي تذهب إلى «آدم»، حين خرجت من منزلها وجدت سيارته تقترب، وقف أمامها فركبت بسرعة واللهفة تسكنها:

- ما الذي حدث يا «آدم»؟، أخبرني بكل التفاصيل.

مدَّ لها يده تحمل ورقة صغيرة مطبوعًا عليها «نحن لا نجد كلمة «لا» في قاموسنا يا صديقي، والديك ضيوفنا، ومهما حاولت فكل الأسرار مصيرها إلى العلن»، وضعت يدها على فمها لكن شهقة تسللت رغمًا عنها:

- من هم هؤلاء القوم يا «آدم»؟

نظر لها «آدم» بجانب عينيه، ثم توقف فجأة بالسيارة حتى كادت رأسها ترتطم لولا حزام الأمان:

- اسمعي يا «ندى»، أنا أكره اللف والدوران في الحديث، أخبريني بوضوح وصراحة، هل لك علاقة بهذا الأمر؟

اتسعت عينا «ندى» فزعًا:

- ما الذي تقوله يا «آدم»؟ أنا «ندى»، هل نسيت؟

ضرب «آدم» مقود السيارة بعنفٍ:

- لم أنسَ، وأدرك جيدًا إلى من أتحدث، لكن فسّري لي من أين خرج سرنا إلى هؤلاء الذين خطفوا والدي؟ لا أحد يعرف سر إعادة التكوين غيرنا، وفجأة وجدت من يتصل بي ليحاول الحصول على تفاصيل هذه القدرة، خبريني إذًا من غيرك قد يكون مصدر التسريب؟

احمرَّ وجه «ندى» غضبًا:

- سأراعي اضطرابك نتيجة ما حدث لوالديك يا دكتور، لكننا سنتحاسب على هذه الجملة فيما بعد.

قطع حوارهما رنين هاتف «آدم» باتصال دون رقم، سارع لتلقي الاتصال وهو يضع سبابته أمام فمه مشيرًا لـ «ندى» بالصمت، أتاه صوت «غسان»:

- لا تقلق على والديك يا دكتور، هما في أمان.

احتد صوت «آدم»:

- اسمع يا «غسان»، لو أصاب والدي أي مكروه سأمحيك عن وجه الأرض.

قهقه «غسان» بصوتٍ عالٍ:

- لا تقلق يا صديقي، لن نصل إلى هذه المرحلة، فأنا أثق في رجاحة عقلك وأنك ستساعدنا.

صمت قليلا ثم أضاف:

- إلا إذا تغلب عليك عنادك، وتسببت في أذى لهذين البريئين.

صرخ «آدم» عبر الهاتف:

- سأقتلك أيها الحقير.

أتاه صوت «غسان» آمرًا:

- ألقِ تلك الفتاة من سيارتك وقابلني عند «قلعة وندسور».

انقطع الاتصال، فضرب «آدم» المقود من جديد بغضب أشد عدة مرات متتالية وهو يصرخ، أمر «ندى» بمغادرة السيارة دون أن تفهم شيئًا، ثم انطلق محدثًا صريرًا عاليًا وتاركًا خلفه سحابة من دخان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بالقرب من «قلعة وندسور» ترجل «آدم» متلفتًا حوله بحثًا عن «غسان» أو «السيد»، مرت دقيقتان قبل أن يقترب منه طفل صغير ويلقي أمامه ورقة ويهرول مبتعدًا، انحنى «آدم» والتقط الورقة، فتحها وقرأ منها «في عكس اتجاه عقارب الساعة تحرك»، طبق «آدم» الورقة في كفّ يده بغيظ، وألقاها باتجاه سلة القمامة بعنفٍ، بدأ التحرك، وعند التفاف الطريق حول القلعة أتاه اتصالٌ بدون رقم، فتح الخط فورًا، سمع فحيح «غسان»

- لا تتجه يسارا يا «آدم»، استمر للأمام.

انقطع الاتصال فاندفعت الدماء تغزو وجه «آدم» وجبينه يزداد تقطيبًا، أطلق سهم سبابه فأصاب شرف «غسان»، استمر في السير، عندما وصل إلى الطريق العام وقفت أمامه ليموزين سوداء وانفتح الباب وأتاه صوتٌ آمرًا:

- اركب.

دخل إلى السيارة، وكان «السيد» بداخلها، فأمسك فورًا بتلابيبه:

- أين والدي أيها العجوز.

وجد مسدسًا مصوبًا إلى رأسه من المقعد الأمامي، يمسك به رجلٌ ضخم الجثة:

- من الأفضل أن تتعقل يا دكتور وإلا زارت رصاصاتي رأسك.

ترك «آدم» تلابيب «السيد» مرغمًا، اعتدل في جلسته، كانت السيارة قد بدأت في التحرك فور ركوب «آدم»، وبسبب إعتام الزجاج باللون الأسود، لم يتمكن من معرفة وجهتهم، ظل صامتًا حتى تكلم «السيد» دون أن ينظر إلى «آدم»:

- في بعض الأحيان، تجد نفسك مضطرًا لسلوك أفعال لا ترضى عنها، لكن حينما تعيد النظر للصورة العامة، من بعيد، تفهم معنى قاعدة هامة في دينكم، «الضرورات تبيح المحظورات»، أليس كذلك؟

التفت «آدم» نحو «السيد»:

- أين أبي وأمي؟

نظر «السيد» في عينيّ «آدم»:

- غريب أمرك يا دكتور، لماذا تصر ألا ترى الصورة الكبرى؟، أحدّثك عن البشرية جميعًا، وتحدثني عن فردين فقط، نحن ننوي محاربة الفقر، والاستغلال، ولكل حرب خسائرها.

أراد «آدم» أن يتكلم فرفع «السيد» يده في مواجهته ليصمت، ثم استأنف:

- ومع بعض التعقل منك، لن يكون والديك ضمن الخسائر.

نظر «آدم» شذرًا «للسيد»:

- اسمعني جيدًا حتى نوفر الوقت على كلينا، لو أصاب والدي مكروه سأقتلك، هذا بالإضافة إلى أني لن أمنحك سر قدرتي ولو سرت على رموش عينيك حتى آخر الدنيا.

قهقهة «السيد» بصوتٍ عالٍ:

- يعجبني إصرارك يا «آدم»، أتعرف أني أحببتك، ولن يكون سهلًا على نفسي أن أجبرك على شيء.

عادت الحدة إلى صوت «آدم»:

- أين أبي يا رجل؟

طرق «السيد» بطرف عصاه على مقعد السائق فتوقف، أشار إلى «آدم» بالنزول:

- حينما تكون مستعدًا لمنحي ما أريد، سيسعدني منحك ما تريد.. بالمناسبة، حبيبتك لا علاقة لها بما بيننا، ليست هي مصدر معلوماتنا، أنا أوضح لك هذا كي أثبت حبي لك.

ثم رسم على وجهه ابتسامة هادئة، أراد «آدم» أن يضيف شيئًا لكن المسدس في يد الحارس الشخصي «للسيد» عاد للظهور من جديد، فصمت مجبرًا، أشار له الحارس بطرف المسدس أن يغادر السيارة، نظر لهم «آدم» بحنقٍ شديدٍ ثم غادر السيارة مضطرًا.

حينما ترجل «آدم» من السيارة اتصل بـ «ندى» التي أجابت الاتصال بلهفة:

- ما الذي ذهب بك إلى وندسور يا حبيبي؟، أريد أن أطمئن عليك.

تنهد «آدم» قبل أن يسألها:

- كيف عرفتِ أنني هناك؟

تحيرت «ندى» في الإجابة:

- لا أعرف، لكن عقلي يشعر بك، يعرف تمامًا أين أنت، وكأن الصلة بين عقلينا لا تخص قراءة الأفكار وحدها، بل أستطيع معرفة مكانك على وجه الدقة أيضًا.

لم يعلّق «آدم»، بل أجابها على سؤالها الأول:

- اطمئني يا «ندى»، أنا بخير.

صمتت «ندى» قليلًا، وبنبرة حانية:

- «آدم»، صدقني يا حبيبي، أنا لا علاقة لي بهذا الأمر، أقسم لك..

قاطعها «آدم»:

- لا داعي لهذا يا «ندى»، أنسيتِ قدرتي على قراءة أفكارك، أعرف أنه لا علاقة لكِ بالأمر، فقد كان عقلي مشوشًا من الصدمة فقط، أشعر بك في المنزل.

- نعم أنا هناك.

- أنا في طريقي إليكِ، استعدي لملاقاتي أمام منزلك بعد نصف ساعة.

تلفت حوله، تخير سيارة مناسبة ثم أعاد تكوينها، ركب نسخته الخاصة وانطلق بها نحو منزل «ندى».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انفتح باب الحجرة المحتجز بها «عبد الرحمن عز الدين» وزوجته «رقية»، دلف «السيد» من الباب متوكئا على عصاه، تأمل كل منهما الآخر لثوانٍ فأحاط «عبد الرحمن» كتف زوجته بذراعه وضمها إليه، جلس «السيد» على مقعد قريب من الباب:

- أرجو ألا تكون إقامتك لدينا مزعجة يا سيدي، لقد أمرتهم بحسن معاملتكم وتوفير سُبُل الراحة كافة.

ارتسمت علامات الغضب على وجه «عبد الرحمن»:

- من أنت؟ وما الذي تريده منا؟

داعب «السيد» الأحجار الكريمة التي تزين الحلقة الذهبية بعصاه بيده اليسرى قاصدًا زيادة توتر «عبد الرحمن» بصمته هذا، ثم أضاف بعد قليل:

- في الواقع يا سيدي أنا لا أريد منك شيئًا.

شعر «عبد الرحمن» بالحيرة فسأله:

- لماذا تحتجزنا إذًا؟

رسم «السيد» علامات دهشة مصطنعة على وجهه:

- أحتجزكم!!، من قال هذا؟، أنتم ضيوفي لفترة قصيرة فقط.

لم تختفي مشاعر الدهشة من وجدان «عبد الرحمن»:

- ما الداعي؟

وضع «السيد» رجله اليسرى على اليمنى:

- لي حاجة عند «آدم» وحين يقضيها لي ستكونون أحرارًا.

خشي «عبد الرحمن» أن يكون قد فهم ما الذي يرمي إليه العجوز:

- ما هي هذه الحاجة؟

استند «السيد» إلى ظهر المقعد:

- أرجو ألا أكون فجًّا في حديثي عن ولدك يا سيدي، لكنه يمتلك موهبة لا يقدِّر قيمتها ولا يعرف كيف يمكنه أن يستغلها.

لأول مَرَّة تتحدث «رقية»:

- عن أي موهبة تتكلم؟

أومأ لها «السيد» برأسه:

- عفوًا يا سيدتي، أرجو ألا تعتبري إجابتي قلة ذوق مع سيدة محترمة مثلك، لكن الدكتور «عبد الرحمن» يفهم جيدًا ما أقصد ولا داعي أن تزعجي نفسك بالتفاصيل.

شعرت «رقية» بالغضب:

- لكنك تتحدث عن ولدي، ويهمني أن أطمئن عليه.

تبسم «السيد»:

- اطمئني يا سيدتي، هو بخير وسيظل كذلك.

ربت «عبد الرحمن» على كتف زوجته كي تصمت:

- اسمع أيها السيد، أنا أعلم بولدي منك، لن يمكنك إجباره على إخبارك بقدرته حتى ولو احتجزتنا بقية العمر.

عادت الابتسامة إلى وجه «السيد»:

- أرجو ألا تقلق بهذا الشأن، فنحن لا نقاوم.

رفع «عبد الرحمن» ذراعه من على كتف زوجته وأشار بيده علامة السؤال:

- أنتم؟ من أنتم؟ ولماذا تحرصون على معرفة سر قدرة «آدم» إلى هذه الدرجة؟

صمت «السيد» قليلًا، أخرج غليونه وهو يوجّه حديثه إلى «رقية»:

- اسمحي لي يا سيدتي أن أزعجك قليلًا بدخان غليوني، فأنا بحاجة ماسة للتدخين.

أشاحت «رقية» بوجهها عنه، فأعاد «عبد الرحمن» سؤاله، انتهى «السيد» من إشعال الغليون ونظر إلى «عبد الرحمن»:

- بعض التعريفات يا سيدي لا تكون كافية للوصف الصحيح، ربما وصفتنا اللغة بأننا جماعة أو منظمة أو مؤسسة، هناك عدة مصطلحات قد تحوي معنى مشابهًا، لكن الواقع يختلف قليلًا عن مضمون اللغة، على كلّ دعنا نتجاوز أمر التعريفات، نحن نرى أننا مؤهلون لاستخدام قدرات «آدم» وفي نفس الوقت منحه ما لا يحلم به من...

قاطعه «عبد الرحمن»:

- أخبرتك من قبل أن ولدي لن يمنحكم سر قدرته.

نظر «السيد» مباشرة إلى عيني «عبد الرحمن» بقصد التأثير عليه:

- دكتور «عبد الرحمن»، أنت رجل علم، وتدرك أكثر من غيرك أن أي علم لا بد له من تطبيق على أرض الواقع، وكتمان ولدك

لعلمه إساءة بالغة، ونحن قوم نكره الإساءة للعلم، نحن نسعى لتطهير النفس البشرية بنشر علم ولدك بين الناس.

بدأ شيء من الحدة يتسلل إلى نبرات صوت «عبد الرحمن»

- هل تدرك أي شرور يمكن أن يطلقها هذا العلم لو أنه انتشر بين العامة؟ أنتم بذلك لا تسعون لتطهير النفس البشرية، بل تسعون لتلويثها أكثر.

أشار «السيد» بسبابته:

- بالضبط.. بالضبط يا سيدي، نسعى لزيادة تلويث الإنسان، أتدري لماذا؟

جحظت عينا «عبد الرحمن» في غيظ:

- لأنكم ببساطة مخبولون، فكيف يمكن تطهير النفس الإنسانية بزيادة تلويثها؟

اعتدل «السيد» في جلسته:

- لأن الأشياء إن زادت عن حدها، انقلبت إلى ضدها، النفس البشرية تهفو دائمًا إلى نشأتها الأولى، ألم تبدأ رحلتنا من الفردوس؟، ماذا لو أثقلت هذه النفوس بالخطيئة؟

صمت «عبد الرحمن» ولم يجب، نظرت له «رقية» في عجب فأكمل:

- كلما أثقلت الحمل على النفوس كلما هفت أكثر إلى برائتها الأولى فيبدأ الإنسان في نبذ الخطيئة، فحين يشتد الظلام، نهفو أكثر إلى الضوء، تذكر معي التاريخ الإنساني على امتداده، متى مرت البشرية بعصور التنوير؟، أليس بعد عصور اشتدت فيها الهمجية والجهل؟ انظر إلى تاريخ أورُبّا مثلًا، بدأ عصر النهضة

بعد رحلة من التخلف والجهل وسفك الدماء بلا حساب حتى ثقل على الضمير الإنساني كل هذه الخطايا فبدأت عصور التنوير.

شعر «عبد الرحمن» بالاستفزاز من أفكار الرجل:

- يبدو أن تقدمك بالسن جعلك ترهف يا هذا، أي عبث تتفوه به، الظلام ليس طريقًا للنور، والخطيئة ليست ممرًا للسمو، لا يمكن أن تتلوث الإنسانية حتى تتطهر، فكلما هبطت إلى قاع الخطيئة بعدت عن قمة الطهر، أنت لا تبحث عن السمو، بل تبحث عن الدنس، الإنسان يحمل في داخله طهر الملائكة وخبث الشياطين، وهو يختار الطريق الذي يسلكه حتى يتحمل نتائجه في الآخرة.

ابتسم «السيد» ابتسامة حقيقية هذه المرة:

- أنت ذكي يا دكتور، وأمثالك يشكلون خطورة، لكن دعني أوضح لك الأمر، لو اختفى الدنس من الأرض، هل ستتعرف على الطهر؟ صدقني يا دكتور نحن في حاجة إلى الظلمة كي نقدّر قيمة الضياء، كلاهما ضروري لبقاء الآخر، وكما قلت، نحن نحمل داخلنا كلا الوجهين، ولن نعرف معنى أحدهما إلا بوجود الآخر.

تأمله «عبد الرحمن» لثوانٍ:

- الشر لا بد له أن ينهزم أمام الخير يا رجل، تلك نتيجة حتمية.

قهقه «السيد» بسخرية:

- بالعكس يا سيدي، لا يمكن أن ينهزم الشر أبدًا، لأنه أذكى، أخبث، أقوى، الطيبون فقط هم من يلجؤون إلى جانب الخير،

وهؤلاء ليسوا محاربين، بينما الأقوياء هم من يتخذون جبهة الشر لهم مكانًا، وهم قوم لا يملّون الحرب، لهذا لا ينهزمون أبدًا.

وقف «عبد الرحمن» من شدة غضبه:

- اسمعني جيدًا يا هذا، كلماتك هذه لن تخيفني، ولن تجعلني أبدًا أقتنع بمنطقك المعوج، لا يمكن أن يلتقي الضدان.

اعتدل «السيد» في جلسته واحتدَّ صوته بما يقرب إلى نبرة التهديد:

- لكنني أسعى بالفعل إلى تخويفك يا دكتور، فإن لم ينصاع لي ولدك سأجعله يتمنى الموت، سيتوسل إلى أن يفعل ما أريد.

تسلل الخوف فعلًا إلى «عبد الرحمن» فسقط على مقعده قلقًا على ولده، في حين شهقت «رقية» جزعًا ووضعت يدها على صدرها، لم يجد «عبد الرحمن» ما يجيب به، نهض «السيد» واقترب منهما:

- حتى الآن أنا لم أذكر ابنتك المحبوبة «آن»، يمكنني أيضًا أن أقلب حياتها جحيمًا، فالأكيد أنها ستجن لو مسَّ «آدم» الصغير أو «يوسف» شرٌّ.

اضطرب «عبد الرحمن» على ذِكر «آن» وولديها، في حين هتفت «رقية»:

- أرجوك يا سيدي ألا تصيبهم بأذى، لك روحي إن أردت، لكن دعهم وشأنهم.

هز «السيد» رأسه رفضًا:

- للأسف يا سيدتي، روحك لن تفيدني بشيء، أما قدرات ولدك فتفعل.

أمسكت «رقية» يد «السيد» تستعطفه:

- أرجوك يا سيدي، لا شأن لهم بما تريد، دعني أتحدث إلى «آدم» وسأطلب منه أن يفعل ما تريد.

ابتسم «السيد» منتصرًا:

- للمرة الثانية يا سيدتي لن تكوني نافعة لي، سيقوم بهذا عنك زوجك الدكتور «عبد الرحمن».

بعد أن أنهى جملته نظر في تحدٍّ إلى «عبد الرحمن» الذي نكس رأسه وهو يغمغم:

- سأفعل، لكن على شرط واحد.

نظر «السيد» له كمحارب يحصي غنائم أرض المعركة:

- رغم أنك لست في موقفٍ يسمح لك بوضع الشروط، لكنني سأسمع شرطك ربما كان مقبولًا.

- أريد أن أفعل ذلك وجهًا لوجه، أريد أن أرى «آدم».

صمت «السيد» قليلًا كمن يزن الموقف في رأسه:

- لك هذا.

ثم اتجه مباشرة نحو الباب وخرج من الحجرة تاركًا «رقية» في حالة انهيار كامل، و «عبد الرحمن» في حالة من الوهن والقهر كادت أن تجري دموعه لولا خجله من زوجته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حينما وصل «آدم» إلى منزل «ندى» وجدها في انتظاره أمام الباب، ما إن توقف بالسيارة أمامها حتى ركبت وانطلقا، حاولت

«ندى» قراءة أفكار «آدم» لكنه لم يسمح لها بهذا، أرسلت له عبر أفكارها:

- لماذا تمنعني من قراءة عقلك يا «آدم»؟

نظر لها «آدم»:

- لأن ذهني خالٍ من الأفكار الآن يا «ندى»، أشعر بتشوش كبير على عقلي، لا أعرف ما الذي يمكنني فعله في هذا الموقف؟

بعد هذه الجملة توقف «آدم» إلى جانب الطريق فسألته «ندى»:

- ألم تحاول الاتصال بهؤلاء القوم؟

هز رأسه نفيًا:

- لا أعرف طريقة الوصول إليهم، في كل مَرَّة هم من يتواصلون معي، وحينما قابلت كبيرهم منذ قليل لم نصل إلى شيء.

أومأت برأسها علامة التفهم:

- إذًا سيتصلون هم بك قريبًا.

تنهد «آدم» ثم أضاف:

- أتمنى لو يفعلون ذلك سريعًا و..

قطع جملته رنين الهاتف، سارع بالنظر إلى شاشته فلم يجد رقمًا كالعادة، فتح الاتصال بلهفة وسمح لـ «ندى» أن تتسلل إلى أفكاره، أتاه صوت «السيد»:

- عزيزي «آدم»، أرجو ألا تكون منزعجًا من مقابلتنا الأخيرة.

شعر «آدم» بوهنٍ فلم يقوَ على الجدال:

- متى ستترك والدي وشأنهما؟

أتاه صوت «السيد» هادئًا:

- في الواقع لا أنوي أن أفعل إلا إذا نفّذت ما أريده منك، وأرجو أن تحسن التصرف حتى لا أضطر إلى اتخاذ خطوات تضايقك أكثر، فما زلت حريصًا على علاقتنا الطيبة.

بدأت العصبية تعود إلى نبرات صوت «آدم»:

- أخبرتك من قبل أنني لن أنصاع لك مهما فعلت.

- لا لا يا عزيزي، حافظ على هدوئك، فلا يصح أن تكون بهذه العصبية وأنت تتحدث إلى والديك.

سكنت اللهفة صوت «آدم»:

- أين هما؟

جاءه صوت أمه عبر الهاتف مشتاقًا:

- ولدي الحبيب، كيف حالك؟، ما الذي يريده منك هؤلاء القوم يا حبيبي؟

انتزع «السيد» الهاتف من «رقية» وناوله لـ «عبد الرحمن» وعيناه تحملان نظرات التحذير والتهديد، تناول «عبد الرحمن» الهاتف وهو ينظر إلى «السيد» بحذر:

- ولدي، كيف حالك؟

سارع «آدم» بالإجابة:

- أنا بخير يا أبي، الأهم هو أنتم، هل مسَّكم بسوءٍ؟

أعاد «عبد الرحمن» النظر إلى «السيد» قبل أن يجيب ولده:

- اطمئن يا ولدي نحن بخير، سيأتون لاصطحابك إلينا.

تعجب «آدم»:

- ما الذي حدث يا أبي؟، على أي شيء اتفقتم؟

أشار «السيد» لـ «عبد الرحمن» أن يرد إليه الهاتف ففعل وفي عينيه نظرة انكسار، وضع الرجل الهاتف على أذنه وابتعد عنهما:

- أتمنى أن تثمر هذه المقابلة خيرًا يا صديقي، فلا داعي لتتشابك الأمور بيننا أكثر من هذا.

ظهر القلق على ملامح «ندى» من جملة «السيد» كادت أن تتدخل في الحوار لولا إشارة من «آدم» أسكتتها:

- لا أعرف عن أي خيرٍ تتحدث يا رجل، متى ستدعني أقابل والدي؟

نظر «السيد» إلى ساعته:

- سيكون «غسان» أمام باب منزلك بعد نصف الساعة، أظنه وقتًا كافيًا كي تعيد «ندى» إلى منزلها وتكون هناك في الموعد.

تلفت «آدم» حوله فقد تيقَّن أنهم يراقبونه، أغلق الخط والتفت إلى «ندى»:

- هيّا بنا، سأعيدك إلى المنزل.

أمسكت «ندى» بيده:

- «آدم» لدي فكرة جيدة.

بدا الاهتمام على وجه «آدم» وقرأ أفكار «ندى» فارتسمت على ملامحه ابتسامة رضا:

- أحسنتِ يا «ندي»، فكرة رائعة، هيّا بنا.

انطلقا فورًا بالسيارة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وصل «آدم» إلى مكان احتجاز والديه بعد رحلة طويلة بسيارة معتمة الزجاج حتى لا يتعرف إلى الطريق بعد أن قطعت السيارة عدة طرق مختلفة زيادة في التمويه، لم يقابل «غسان» أو سيده، كل من قابلهم مجموعة من الحراس الشخصيين، قاده أحدهم نحو الحجرة المحتجز فيها والداه، ما إن دلف «آدم» عبر الباب حتى هرولت أمه تحتضنه وتمطره بقبلاتها، احتضن والده بقوة واطمأن إلى سلامتهما، بعدها جلسوا جميعًا، تبادل «آدم» ووالده نظرات التشجيع، انفتح الباب ودخل أحد الحراس واصطحب «رقية» إلى حجرة أخرى، كادت تبكي وهي تفارق ولدها، التفت «عبد الرحمن» إلى ولده بعد غلق الباب:

- إياك يا ولدي أن تستجيب لهم، أنا لا أثق في نواياهم على الإطلاق، كما أن كبيرهم هذا أخبرني صراحة أنهم يرغبون في قدرتك من أجل نشر الشرور بين الناس.

خرج صوت «آدم» مفعمًا بالقلق:

- لكنهم لن يخرجوكم من هنا إلا إذا انصعت لهم يا أبي، وأنا على استعداد لفعل أي شيء حفاظًا على سلامتكما.

أشار له أبوه كي يتوقف عن الاسترسال في الحديث فلاذ «آدم» بالصمت فورًا:

- اسمعني يا ولدي، لقد بلغت من الكبر ما بلغت ولم يعد لي في الدنيا مطلب، كما أن العمر لن ينتهي قبل موعده بثانية، حافظ يا ولدي على سلامتك وانجُ بحياتك منهم، ودعنا ليد الرحمن،

ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، المهم ألا ينتشر هذا الظلام بين الناس.

لوح «آدم» بيده معترضًا على كلام أبيه:

- عفوًا يا أبي، لا يمكنني التخلي عنكم أبدًا.

اتبع كلامه بالنهوض واتجه نحو الباب وطرقه من الداخل، وقبل أن ينفتح الباب قال له أبوه:

- أرجوك يا ولدي، لا تسمح لهم بهذا، اتركنا واهرب منهم.

انفتح الباب وظهر التصميم على صوت «آدم» وهو يوجه حديثه نحو الحارس:

- أريد أن أقابل «السيد» فورًا.

تراجع الحارس خطوتين إلى الخلف ليفسح له مجالًا للخروج، سارا معًا نحو إحدى الحجرات، فتح الباب وأشار لـ «آدم» بالدخول ففعل، أغلق الباب خلفه وتركه وحيدًا، جلس «آدم» إلى أحد المقاعد لبعض الوقت قبل أن ينفتح الباب مَرَّة أخرى ليدخل عبره المدنس الأعظم، جلس في قبالة «آدم» بوجه ترتسم عليه ملامح القوة:

- ها يا صديقي، أتمنى أن تكون قد اطمأننت على والديك أنهما بخير وسلام.

أومأ «آدم» برأسه أن نعم، فأضاف «السيد»:

- وهل توصلت إلى قرارٍ نتيجة حوارك مع والدك؟

أعاد «آدم» الإيماء برأسه علامة الإيجاب، فعاد المدنس الأعظم يسأله:

- وما هو قرارك يا عزيزي؟

اعتدل «آدم» ليواجهه وبصوتٍ حادٍ:

- قبل أن أخبرك بقراري يجب أن تعيد والديّ سالمين إلى بيتهما، ثم نسوي هذه المسألة فيما بيننا.

أشار «السيد» بسبابته نحو «آدم» محذرًا:

- اسمع يا فتى، الأمر لا يحتمل الهزل، ولا تتصور أنك يمكن أن تخدعنا، فكما وصلنا لهم في المرة الأولى نستطيع أن نصل إليهم في الثانية بسهولة، وإن لم نصل إليهما، يمكننا أن نصل إلى العزيزة «آن» أو أحد ولديها إن أردنا.

نهض «آدم»:

- أطلق سراحهما أولًا ثم نتحدث لاحقًا.

نهض «السيد» مستندًا إلى عصاه واقترب من «آدم»:

- سيخرجان، لكنك لن تفعل، سنستضيفك هنا حتى تتمم نصيبك من الصفقة.

عقد «آدم» ساعديه أمام صدره في تحدٍّ:

- سنخرج جميعًا من هنا، والآن، وحين أطمئن على سلامتهما سأكون تحت تصرفك.

- إذًا سيصحبك «غسان» في ذهابك وعودتك.

أشار «آدم» برأسه نفيًا:

- بل امنحني بعض الوقت، فلقد تخلصت سابقًا من كل نسخ البحث، وأنا في حاجة لإعادة تسجيلها من جديد.

طأطأ «السيد» رأسه مفكرًا:

- هل يكفيك يومين؟

أبدى «آدم» اعتراضه على المهلة وطلب أسبوعًا، لكن «السيد» منحه ثلاثة أيام لا غير، صمت «آدم» وحافظ على نظرات ثابتة لعين «السيد»، الذي لمس تصميم «آدم»، تحرك ليفتح الباب فهرول الحارس الموجود بالممر نحوه:

- جهزوا السيارة وأحضروا الدكتور «عبد الرحمن» وزوجته.

أسرع الحارس لتنفيذ أوامر «السيد»، وبعد دقائق كانوا جميعًا في السيارة التي تحركت حتى منزل «عبد الرحمن».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هرولت «ندى» تحتضن «رقية» التي بادلتها القبلات وهما يبكيان أمام منزل «عبد الرحمن» الذي طلب منهما الدخول إلى البيت أولا، تبعهم «آدم» بعد أن راقب الطريق ليتأكد ألا أحد يراقبهم، لمح من بعيد سيارة سوداء تقف على جانب الطريق، دخل الجميع إلى المنزل وطلب «عبد الرحمن» من «رقية» أن تصعد إلى غرفتها لتستريح، أبدت اعتراضها وأرادت أن تفهم ما الذي يحدث، لكن نظرة صارمة في عين «عبد الرحمن» جعلتها تستسلم لرغبته، ثم أشار لـ «آدم» و «ندى» كي يتبعاه إلى حجرة المكتب ليناقشوا أبعاد الموقف الجديد، جلس إلى مكتبه وجلست «ندى» على الأريكة بينما جلس «آدم» إلى المقعد المقابل للمكتب، كان «عبد الرحمن» أول المتحدثين:

- ماذا سنفعل في هذه الكارثة يا أبنائي؟

أرادت «ندى» أن ترد، لكن إشارة من «آدم» ألزمتها الصمت، داعب لحيته وهو يجيب:

- أول ما يجب فعله هو أن تغادر أنت ووالدتي بريطانيا كلها.

شبك «عبد الرحمن» أصابع يده وهو يستند إلى مكتبه:

- وهل تظن أن جماعة كهذه سيصعب عليهم الوصول إلينا في أي مكان؟، لقد هددوني بأختك «آن» وولديها.

نظر «آدم» نحو «ندى» في قلقٍ ثم أضاف متجهًا ببصره نحو والده:

- يجب أن نحتاط أيضًا لهذا الأمر، يجب أن نبلغها أن تغادر ألمانيا إلى مكانٍ آخر، هل تظن لو عدتم جميعًا إلى القاهرة ستكونون بأمان هناك؟ يمكنكم أن تذوبوا في زحامها.

تدخلت «ندى» في الحوار:

- وما هي الخطوة التالية يا «آدم»؟

لم يمتلك «آدم» إجابة واضحة في ذهنه، شرد قليلًا يتصور ما الذي يمكنه أن يفعله مع «السيد»، كيف يمكنه أن يحافظ على سره ويهرب به منهم، تمكنت «ندى» بسهولة من معرفة ما يدور في ذهن «آدم»، أرسلت له عبر عقلها تطمئنه أنها ستبقى معه حتى يتجاوزوا هذه الورطة سويًا أو يواجهوا مصيرهما أيًّا كان، نظر لها «آدم» وهو يفكر أنها يجب أن تبتعد عن هذه المشكلة مثلما سيفعل أبواه وأخته، وأنه سيتصرف وحده مع هذه الجماعة، نظرت له في حدة وهي تبثه أفكارها أن ما يطلبه منها مستحيل ولن يكون أبدًا، قطع صوت «عبد الرحمن» أفكارهما:

- ما الذي يدور هنا؟، لماذا تتبادلان هذه النظرات الصامتة؟

تنهد «آدم»:

- لا شيء يا أبي لا تقلق، سنكون بخير، المهم الآن أن تغادروا جميعًا إلى القاهرة وبصحبتكم «ندى» أيضًا.

هذه المرة أبدت «ندى» اعتراضها بصوت مسموع:

- هذا لن يكون يا «آدم»، سنسير في هذا الطريق معًا مهما كانت نتائجه، فإن لم تسر الأمور على ما يرام لتقع نتائجه علينا معًا.

تدخل «عبد الرحمن» في الحديث قبل أن يجيبها «آدم»:

- بغض النظر عمن يغادر ومن يبقى يا أبنائي، ماذا ستفعلون بعد ذلك.

تبادل «آدم» و «ندى» النظرات من جديد، فأومأ لها بالإيجاب، بعدها اتجهت «ندى» بحديثها نحو «عبد الرحمن»

- يبدو أننا يا عمي حين طوَّرنا قدرتنا على إعادة تكوين الأشياء، تطورت لدينا قدرة على التواصل العقلي، تشبه إلى حدٍّ كبير التخاطر الذهني المعروف باسم «التليباثي» لكنها تختلف عنها في شيء جوهري.

أخذ الاهتمام الأكاديمي «عبد الرحمن» من المشكلة التي تواجههم وسأل:

- ما هو هذا الاختلاف يا «ندى»؟

تدخل «آدم» ليجيب أباه:

- هذه القدرة لا تتوقف عند قراءة الأفكار فقط، بل أيضًا يمكنني أن أسمع ما تسمعه «ندى» وأرى ما تراه كذلك، حتى إنني يمكنني الشعور بما تشعر به وكأننا أصبحنا عقلًا واحدًا.

أضافت «ندى»:

- الأمر الأهم يا عمي أن كلًّا منا يمكنه أن يعرف مكان الآخر بالضبط بمجرد أن يتم بيننا هذا التواصل العقلي.

أصبح «عبد الرحمن» أكثر اهتماما بالأمر:

- وكيف ستسفيدان من هذه القدرة في مواجهة مشكلتنا هذه؟

ابتسم «آدم» وهو ينظر إلى والده:

- لقد استفدنا منها فعليًّا يا أبي، لقد عرفت «ندى» بالتحديد المكان الذي تم احتجازكما فيه، وبهذا نكون قد عرفنا مقر هذه الجماعة ويمكننا الآن أن نبادر بخطوة لا يتوقعونها.

نظر إليهما «عبد الرحمن» والتساؤلات تزدحم في رأسه:

- ماذا ستفعل تحديدًا يا «آدم»؟

نظرت له «ندى» مبتسمة:

- مفاجأة صغيرة يا عمي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- ما الذي تقوله أيها الأحمق؟، كيف سمحتم لهذا بالحدوث؟ حتمًا سيأمر «المدنس الأعظم» بقتلنا جميعا لهذا الخطأ غير المغفور.

هكذا صرخ «الأدنس» عبر الهاتف وهو يتلقى مكالمة من أتباعه المكلفين بمراقبة «آدم» وأسرته بعد أن أخبروه باختفائهم ليلة أمس، دار في حجرته كالليث الحبيس، احمرَّ وجهه وبرزت عروق رقبته من الغيظ، ظل يلعن اعتماده على هؤلاء الحمقى الذين لم يتمكنوا من إحكام المراقبة، انسحب الغضب حينما تسلل القلق إلى عقله جراء ردّ فعل «السيد» حينما سيعلم بالخبر، أمسك هاتفه وأجرى اتصالًا بأحد معاونيه، طلب منه أن

يستعلم من شركات الطيران وحجز الفنادق والسكك الحديدية عن أي شيء باسم «آدم» أو أحد من أسرته، ظل حبيس غرفته في انتظار النتائج، علها تنقذ رقبته، بعد ساعة أتاه اتصالٌ يخبره بوجود حجز لغرفتين منفصلتين باسم «ندى» في نزل «كابتن فيريات» بطريق «جارلاند» مدينة «باركستون» بالقرب من ميناء «هارويتش» في شرق بريطانيا وأنها هناك بالفعل بصحبة «آدم» لكن أبويه لا وجود لهما، ارتسمت ابتسامة واسعة على وجه «غسان»، لا يهمه العثور على «عبد الرحمن» و «رقية» إذا وصل إلى «آدم» و «ندى»، سارع بالتحرك وهو يجري عددًا من الاتصالات كي يصحبه معاونوه وهؤلاء الحمقى الذين فشلوا في المراقبة علهم يصلحون خطأهم الفادح بالقبض على «آدم» و«ندى» قبل أن يختفوا ثانية، معنى وجودهم بالقرب من ميناء «هارويتش» أنهما يخططان للهروب عبر البحر، قادوا سياراتهم لمدة ساعتين ونصف حتى وصلوا إلى النزل المتواجد به «آدم» و»ندى»، لم يكن عسيرًا عليهم أن يعرفوا أرقام الغرف، قسمهم «غسان» إلى مجموعتين، لتهاجم كل مجموعة منهما غرفة مختلفة في نفس الوقت، حين دخلت المجموعة الأولى غرفة «ندى» وجدوها فارغة، فتشوا محتويات الغرفة بدقة شديدة ولم يجدوا شيئًا سوى ملابسها، حينما دخلت المجموعة الثانية الغرفة وجدوا جثتي «آدم» و «ندى» في المكان وملقى بجوارهما حبوب غاز الفوسفين، تلك الحبوب التي تستخدم لحفظ المنتجات الزراعية من القوارض والحشرات والتي تطلق غاز الفوسفين السام بمجرد تعرضها لمصادر الرطوبة بالهواء، لم يكن القَدْر الباقي من الغاز بالغرفة مؤذيًا للمجموعة لكنهم من باب الاحتياط وضعوا رباطات العنق على أنوفهم لتقيهم

استنشاق ما تبقى من أثر الغاز السام، عثر أحدهم على ورقة بجوار جثة «آدم» كتب فيها:

«لم أكن أعلم أنهم يعرفون بوجودي، ولست أدري كيف وصلوا إليّ؟

اقبلوا اعتذراي فلم أكن أقصد أن أطلق كل هذا الشر بينكم.

كل الأمور كانت طبيعية حتى..

حتى أتى هذا الزائر..

حين..

لكن هذا لم يعد هامًا الآن.

فقط أرجو أن تغفروا لي..»

فتشوا أيضًا غرفة «آدم»، عثر واحد منهم على مفتاح صغير في السلسلة التي ترتديها «ندى»، حينما دققوا النظر فيه كان محفورًا عليه شعار لحصان أسود، وهو الشعار المميز لبنك لويدز أحد أقدم وأعرق البنوك بالمملكة المتحدة، وعلى الوجه الآخر حفر لرقم ٩٥٦B، فهمَ «غسان» فورًا أن هذا المفتاح يخص إحدى الخزائن الخاصة بالبنك، ارتسمت على وجهه ابتسامة النصر، أمر المجموعات بالانسحاب فورًا من المكان، وانطلقوا في اتجاه البنك، في الطريق أجرى عددًا من الاتصالات حتى يضمن نفوذ المنظمة في تمكينه من فتح الخزانة، وصلوا إلى الفرع الموجود به الخزانة، وجدوا مدير الفرع في انتظارهم، شدد على «غسان» بكتمان هذا الأمر سرًّا بينهما حتى لا يخسر وظيفته جراء هذه المخالفة، قاد «غسان» إلى المكان المخصص للخزائن الشخصية والموجود تحت الأرض، ساعده

في فتح الخزانة ثم غادر الغرفة فورًا، فتح «غسان» الخزانة ووجد بها قرصًا مدمجًا (CD)، عادت ابتسامة النصر تسكن ملامحه، سارع إلى المقر الخاص بالمنظمة في «لندن»، وحين اطلع على محتويات القرص وجد وثائق البحث الخاص بـ «آدم» و «ندى» فأسرع بإبلاغ المدنس الأعظم بتفاصيل ما حدث في الساعات الأخيرة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طار «المدنس الأعظم» إلى «نيو يورك» على متن طائرته الخاصة فور أن حصل على القرص المدمج من «غسان الأدنس»، خرج من المطار ليجد سيارة خاصة في انتظاره، اتجهت به مباشرة نحو مركز الأبحاث الجيوفيزيائية، كان «جورج» في انتظاره أمام البوابة الرئيسية للمركز، انحنى في احترام ليقبل يد «المدنس الأعظم» ثم صحبه حتى مكتبه، جلس «السيد» خلف المكتب وجلس «جورج» على مقاعد الزائرين، دون أن يتبادلا أي حديث، أخرج «السيد» القرص المدمج من حقيبته وناوله لـ «جورج»:

- أريد معرفة تفاصيل ما في هذا القرص فورًا.

تناول «جورج» القرص المدمج بحرص من يد «السيد» وهرول خارجا من الغرفة، اتجه مباشرة نحو حجرة «سيفتلانا بيتروفيتش» وهي أكثر باحثين المركز تميزا في تخصصها وكانت أبحاثها ضمن الأبحاث السرية التي لا يطلع عليها سوي عدد محدود للغاية وتخدم أهداف محددة لمنظمة «المدنسون»، «سيفي» كما يناديها أغلب معارفها متخصصة في الباراسيكولوجي، لهذا كان على «جورج» اللجوء إليها، وصلته منذ ساعات تفاصيل عن «آدم» ونشاطه وقدرته عبر البريد

الإلكتروني قبل أن يطير «المدنس الأعظم» من «لندن» إلى «نيو يورك»، ومع الرسالة تعليمات قاطعة بتجهيز ما يلزم للاطلاع على محتويات القرص المدمج، مرر أغلب المعلومات إلى «سيفي» وطالبها بالاستعداد لإجراء التجارب اللازمة على المعلومات التي سترد إليهم بحوزة «المدنس الأعظم»، لم تكن تلك الشقراء النحيفة متوسطة القامة ذات الأصول الشرق أوربّية في حاجة لتحفيز من «جورج» فما وصلها من معلومات عن قدرات «آدم» غير المسبوقة كان كافيًا كي يثير فضولها إلى الحد الأقصى؛ لهذا حين وصلها القرص المدمج الخاص بـ «آدم» سارعت على الفور لتضعه داخل محرك الأقراص الخاص بحاسوبها المحمول وتبدأ فورًا في عرض محتوياته على الشاشة وطباعة الضروري منها، كان حجم المعلومات المتاح أمامها ضخمًا ولا يمكن دراسته كله في يوم واحد، لهذا طلبت من «جورج» مهلة حتى يمكنها تقديم نتائج دقيقة، لكنها لم تحدد له زمنًا معينًا للانتهاء، كان «جورج» حاسمًا حين أخبرها أن «المدنس الأعظم» لن ينتظر طويلًا وعليها أن تنتهي من أبحاثها في أسرع وقت، وفي النهاية منحها حتى يوم غد كي تعرض عليه ما توصلت إليه، لم تكن «سيفي» في حاجة لطلب من «جورج» كي تسرع من دراسة بحث «آدم»، لذا باشرت فورًا دراسة البحث وانشغلت عن «جورج» تمامًا الذي راقبها في رضا لحماسها الزائد، ربت على كتفها ثم خرج عائدًا إلى حجرة مكتبه ليبلغ «السيد» أن نتائج مبدئية ستعرض عليه غدا، كان «السيد» متعجلا للوصول إلى معرفة تفاصيل بحث «آدم» حتى تمتلك المنظمة تلك القدرة المذهلة على إعادة التكوين، بعد أن أنهى مناقشته مع «جورج» غادر المركز متجهًا إلى أحد منازل المنظمة المخصص لاستضافة «المدنس الأعظم».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اقتربت خادمة نزل «كابتن فيريات» من باب الغرفة رقم ٢٢GH لتقوم بتنظيف الغرفة، تلك الفتاة الأسكتلندية التي تبلغ التسعة عشر ربيعًا والتي تعمل كي توفر لنفسها نفقات التعليم، تحلم بالانتقال إلى أدنبرة ومغادرة هارويتش ومقاطعة إيسيكس كلها ذات يوم قريب، لم تكن هناك لافتة ممنوع الإزعاج، لذا طرقت الباب مرتين كما تقتضي التقاليد بالفندق، وحينما لم يأتِها جواب من الداخل، أخرجت المفتاح الرئيسي وفتحت الباب، حين دخلت وجدت جثتي «آدم» و «ندى» مطروحتين أرضًا ومحتويات الغرفة مبعثرة في كل اتجاه، أرادت أن تصرخ لكن صوتها لم يغادر حلقها من الصدمة فهرولت نحو مكتب الاستعلامات لتخبر «مستر مايكل» مدير النزل بما رأت، تحدثت باللغة الجيلية وهي إحدى اللغات المحلية بإسكتلندا والمعترف بها رسميًّا، أخبرته بما وجدت بالغرفة المشئومة، هرول «مايكل» نحو الغرفة وهو يلعن هؤلاء العرب الذين سيتسببون في ركود بالفندق بعد انتشار خبر انتحار عربيين بإحدى غرفه، لام نفسه أن منح لهما غرفتين حين وصلاه قبل ليلتين في الثالثة فجرًا، لماذا كذب حدسه بأن وراءهما مصيبة ما؟، صعد درجات السلم إلى الدور الثاني جريًا وقلبه يكاد يتوقف، من المؤكد أن مجلس إدارة الفندق سيطرده من وظيفته حينما ينتشر الخبر، هل يصون كرامته ويتقدم قبلهم باستقالته من العمل متحملًا المسئولية؟، منعه من هذه الخطوة طلبات زوجته «ريتا» التي لا تنتهي أبدًا، وصل إلى الغرفة وضربات قلبه تصل إلى أقصى ما يحتمل، توقف لثوانٍ ليلتقط أنفاسه قبل أن يلج إلى الداخل، لم يكن المنظر يحتمل كثير من التفسيرات، إنها حالة انتحار واضحة، فلا توجد آثار

رصاص بالمكان أو طعن بالسكاكين، لذا أسرع لإبلاغ الشرطة المحلية التي انتقلت فورًا إلى النزل، عاين المحقق «تيري شاربي» الغرفة، كما بدأ رجاله بتفتيش غرفة «ندى» أيضًا بدقة متناهية، في حين كان خبراء البحث الجنائي يرفعون البصمات من الغرفتين، تم تصوير كل الفوضى بالحجرتين، وقام «تيري» بتحريز خطاب الانتحار الذي تركه «آدم» خلفه، وصل رجال الطب الشرعي، وضعوا الجثتين في الأكياس السوداء المخصصة لنقل الجثث، وتحركت بهم سيارة الإسعاف نحو مستشفى «كولشستر العام»، لم تكن هناك قضية في هذه الحالة، لذا اكتفى المحقق «تيري» بالحصول على إفادات العاملين بالفندق، وعاد إلى مكتبه منتظرًا تقرير الطب الشرعي كي ينهي هذا الملف السخيف، لم تتحقق مخاوف «مايكل» فلم يتفاعل مجلس إدارة النزل مع الحدث سلبيًا، ورغم نشر الخبر في الجرائد إلا أن الأمر لم يؤثر مطلقًا على طلبات الحجز الواردة للنزل، وصلت سيارة الإسعاف إلى مستشفى «كولشستر العام» وتم إدخال الجثث مباشرة إلى غرفة فحص الطب الشرعي، تم تمديد الجسدين على طاولات الفحص، استعد دكتور «جون» لفحصهما وكتابة تقريره، اطلع أولًا على التقرير الذي أرسله المحقق «تيري» إلى المستشفى، إذًا هي حالة انتحار أخرى، لا بد أنهما عاشقان تأثرا بشكل ما بمسرحية «روميو وجوليت» وقررا الانتحار كنهاية مأساوية لقصة رومانسية.

في مكان ما كان الدكتور «عبد الرحمن» يطالع المواقع الإخبارية الإنجليزية عبر شبكة الإنترنت في صباح اليوم التالي ليصادف خبر انتحار ولده «آدم» وحبيبته «ندى» في نزل «كابتن

فيريات»، جرت الدموع الساخنة على وجنتيه فورًا وانسحب من أمام الحاسوب، حينما رأت «رقية» دموع زوجها أسرعت إليه:

- ما الذي حدث يا «عبد الرحمن»؟، لماذا تبكي؟

هز «عبد الرحمن» رأسه في أسى وهو يشير نحو الحاسوب فأسرعت «رقية» تطالع الخبر، أطلقت صرخة ملتاعة وارتمت في حضن زوجها «عبد الرحمن» تبكي بحرقة:

- لقد حذرته.. لقد حذرته، لكنه لم يسمع لي.

أجابها «عبد الرحمن» من بين دموعه:

- ولدك عنيد يا «رقية»، لم يكن ليسمع لأي منا.

رفعت «رقية» رأسها من على كتف «عبد الرحمن» نظرت إلى عينيه وكلاهما تنهمر دموعه:

- ماذا كسب الآن؟، لماذا لم يهرب معنا؟.. آهٍ يا ولدي الحبيب، وما ذنب المسكينة «ندى» كي يحدث لها هذا؟

ربت «عبد الرحمن» على كتف زوجته:

- إنه القدر يا «رقية»، دعيني كي أذهب إلى السفارة لأستفسر عن الإجراءات اللازمة لاستلام الجثمان.

كان يحاول أن يقوم من مكانه، لكن «رقية» تمسكت بيده:

- كلا يا «عبد الرحمن»، لو ذهبت إلى السفارة سيعرفون مكانك، وأنا لا أريد أن أفقدك أيضًا.

بدت الحيرة على محيا «عبد الرحمن» الذي عاود الجلوس:

- ماذا سنفعل إذًا؟

مسحت «رقية» خديها:

- اتصل بأخيك «عبد الله» ودعه ينهي عنك الإجراءات، هم لا يطلبونه ولا يطاردونه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تقافز الغضب على وجه «المدنس الأعظم» وهو يضرب مكتب «جورج» بقبضته صارخًا في وجه «سيفتلانا» التي وقفت أمامه منتصبة القامة قابضة على يديها خلف ظهرها:

- ماذا تقولين؟.. أعيدي عليّ جملتك هذه مَرَّة أخرى فربما أصابني الخرف.

لم تهتز «سيفي» لغضب «السيد» فقد كانت تتوقعه، ولهذا أعادت في ثبات حسده عليها «جورج» الذي جلس وقد اصفرَّ وجهه رعبًا من غضب «السيد»:

- البحث الموجود على القرص المدمج مزيف يا سيدي، لا تصل نتائجه أبدًا إلى تحقيق قدرة إعادة التكوين التي تمتع بها «آدم».

نطق «جورج» بصوت خفيض من الخوف:

- ما الذي يعنيه هذا يا «سيفي»؟

حدجة «السيد» بنظرة نارية وهو يصرخ:

- ألا تفهم أيها الغبي؟ لقد خدعنا هذا الحقير، اللعنة عليه وعليها.

لاذ «جورج» بالصمت فورًا وانكمش في مقعده محاذرًا أن يغضب «المدنس الأعظم» بكلمة أخرى، تنحنحت «سيفي» كي يأذن لها بالكلام، نظر لها «السيد»:

- هل لديك مصيبة أخرى تودين إخباري بها؟

هزت رأسها نفيًا:

- بل لدي مقترح ربما ينقذ الموقف.

اهتم «السيد» فورًا بكلمات «سيفي» فلوح بيده يحثها على الحديث:

- وما هو اقتراحك هذا؟

فكت «سيفي» يدها من خلف ظهرها وأشارت نحو رأسها:

- المخ هو ثاني الأجهزة التي تتوقف عن العمل في الجسد الميت بعد القلب عند حدوث الوفاة، لكن الخلايا العصبية لا تتحلل بنفس السرعة، ونظرا لأن الجثتين تم حفظهما في ثلّاجات الموتى بالمستشفى قبل مرور ساعات على حادثة الوفاة،

فبحسب علمي انتحر «آدم» ورفيقته قبل عثورنا عليهما بوقتٍ قصيرٍ، وبعد ساعات قليلة تم نقلهما إلى المستشفى.

تعجلها «السيد» حتى تصل إلى النقطة الحاسمة:

- أعرف كل هذا يا فتاة، ما هو اقتراحك بالتحديد؟

سارعت «سيفي» بالإجابة:

- سنسرق الجثتين لنجري بحثًا على مخ كل منهما، فالجزء الذي عمل «آدم» على تنشيطه في عقله كي يمتلك قدرته على إعادة التكوين، لم تكن معروفة وظيفته من قبل وبالتالي فهذا الجزء يعمل بشكل طبيعي مثل باقي أجزاء المخ، أما حين يبدأ هذا الجزء في النشاط فسيكون من الطبيعي أن تنمو خلاياه بشكلٍ مختلف عن باقي الخلايا المحيطة، نظرًا لأنها أصبحت أنشط من الخلايا المجاورة.

تراجع «السيد» إلى الخلف مستندًا إلى ظهر المقعد وهو يشعل غليونه كي يمنح نفسه فرصة التفكير قبل أن يجيبها:

- ما مدى نسبة نجاح هذا المقترح؟

لم تجد «سيفي» نسبة محددة تجيب بها «السيد» فصمتت، نظر لها نظرة حادة:

- كم هي النسبة؟

وجدت نفسها مضطرة للإجابة:

- ليست كبيرة، لكنها محاولة، وكلما أسرعنا في إجراء هذا التشريح كلما كانت الفرصة مناسبة للوصول إلى إجابة صحيحة.

هز «المدنس الأعظم» رأسه مفكرًا، استدار نحو «جورج»:

- اتصل بـ «الآدنس» على الخط الخاص فورًا.

سارع «جورج» بالاتصال بـ «غسان»، حينما سمع صوت رنين الهاتف، منح الهاتف «للسيد»:

- «غسان» أريد جثتي «آدم» و «ندى» هنا في «نيو يورك» فورًا.

لم ينتظر إجابة من «غسان» وأغلق الخط.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تناول المحقق «تيري» التقرير الخاص بفحص جثتي «آدم» و «ندى» في كسل والذي ورده حالًا من الطب الشرعي، فض المظروف ثم طالع المكتوب فيه وهو يتوقع تقرير روتيني آخر يشرح كيفية وقوع الانتحار، لكنه مع استمرار القراءة اتسعت عيناه من الهلع والدهشة معًا، اقتحم عليه مكتبه «إداورد» عضو منظمة «المدنسون»:

- عزيزي «تيري» كيف حالك؟

سارع «تيري» بإعادة التقرير إلى المظروف من جديد:

- سيد «إداورد».. مر.. مرحبًا يا سيدي.

جلس «إداورد» دون أن يدعوه «تيري» لذلك، فتح أزرار سترة البدلة ووضع رِجلًا فوق الأخرى:

- لماذا أصابك هذا الارتباك حين رأيتني؟ هل دخل عليك الشيطان يا صديقي؟

هز «تيري» رأسه نفيًا:

- لا.. لا بالطبع.

نظر «إدوارد» في عيني «تيري» وبصوت قويّ:

- هناك أمرٌ ما أطلبه منك يا عزيزي، فلدينا عندك ديون وجب وقت سدادها.

هز «تيري» رأسه:

- بالطبع.. بالطبع يا سيدي، تحت أمرك.

لم يضيع «تيري» كثيرًا من الوقت:

- أريد جثتي «آدم» و «ندى».

لم يتمكن «تيري» من الرد واكتفى بمناولة مظروف الطب الشرعي إلى «إدوارد»، تناول المظروف:

- ما هذا؟

- إنه تقرير الطب الشرعي الخاص بالجثتين.

فتح «إدوارد» المظروف وطالع المكتوب فيه، حين انتهى من القراءة انتفض واقفًا:

- ما معنى هذا؟.. أي عبثٍ مكتوب في هذا التقرير؟

نهض «تيري» من خلف مكتبه:

- هو ما قرأت بالضبط.

أخرج «إدوارد» هاتفه وطلب رقم «غسان»، حينما أتاه الرد:

- عفوًا يا سيدي، لكن تقرير الطب الشرعي يحمل خبرًا غير سار.

جاءه صوت «غسان» منفعلًا:

- أي خبرٍ هذا يا «إد»؟

ملأ «إد» رئتيه بالهواء ثم أجاب:

- الجثتان مزيفتان، تلك الجثث لم تكن بها أي حياة في أي وقت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نهض «المدنس الأعظم» وقد احمرَّ وجهه وانعقد حاجبيه، ما دفع «إد» للتراجع خطوتين للخلف وانحنى نصف انحناءة وهو يرتعد، اقترب من «إد» الذي حافظ على انحناءته، وضع يده اليسرى على مؤخرة رأس «إد» واقترب من أذنه:

- رأسك هذا لن يبقى في موضعه إذا لم تجد لي أحدًا منهم خلال ثماني وأربعين ساعة من الآن، مفهوم؟

لم يجرؤ «إد» على الإجابة واكتفى بهز رأسه فهمًا، سحب «السيد» يده واستند على عصاه وهو ينظر إلى «إد» الذي اصفر وجهه رعبًا من كلمات «السيد» ثم بدأ في التراجع إلى الخلف حتى بلغ باب الحجرة، فتح الباب وهرول إلى الخارج، ما إن أغلق الباب حتى تنفس الصعداء، أمسك هاتفه وهو في طريقه إلى الخارج:

- عزيزي «مايكل»، كيف حالك؟

أتاه صوت «مايكل» مرحًا:

- العزيز «إد»، لكم أفتقدك، أي سبب جعلني أتلقى اتصالك؟

كان صوت «إد» حاسمًا بعكس هيئته التي تثير الشفقة:

- سأرسل لك بيانات أربعة أشخاص، أريد أن أعرف متى غادروا إنجلترا وإلى أين؟

قهقهة «مايكل»:

- لقد خمنت هذا، دائمًا لديك طلب ما، لا يمكن أن تتصل بلا سبب.

زفر «إد» بشدة:

- «مايكل»، الأمر لا يحتمل الهزل، حياتي نفسها تتوقف على العثور على هؤلاء الأشخاص، هل ستساعدني؟

تخلَّى «مايكل» عن هزله:

- يبدو الأمر جادًا أكثر مما كنت أظن، أرسل لي البيانات الآن وسأخبرك بالتفاصيل في خلال نصف الساعة.

- اتفقنا.

أغلق «إد» الخط وبدأ فورًا في إرسال البيانات المطلوبة، وصل إلى سيارته، انطلق مباشرة إلى بيته وهو يتمنى أن يستطيع «مايكل» الوصول إلى تلك المعلومات بسرعة لأن كلمات «السيد» تعني الكثير، الأمر لن يتوقف على حياته فقط فالفشل كلمة لا وجود لها في قاموس الجماعة ومكانته كزعيم مدنس في المملكة المتحدة لن تحمي رأسه أبدًا من العقاب إذا فشل،

تحسس رقبته وهو يتساءل إن كان قادرًا على إنقاذ حياته أم لا؟، بعد نصف الساعة تمامًا تلقى اتصالًا من «مايكل»، فتح الخط في سرعة وبصوت ملهوف سأله:

- هل توصلت إلى شيء يا عزيزي؟

نظر «مايكل» إلى ورقة في يده:

- غادر «عبد الرحمن» و«رقية» إلى ألمانيا أولا ومنها إلى القاهرة بصحبة أربعة آخرين، أما «آدم» و «ندى» فلم يغادرا بريطانيا حتى الآن.

شعر «إد» بارتياح، معنى أن «آدم» لم يغادر بريطانيا أن الوصول إليه ليس صعبًا، شكر «مايكل» وأغلق الخط، أجرى عددًا من الاتصالات بدأ رجاله بعدها البحث عن «آدم» و«ندى» في كل أنحاء إنجلترا، قام لتشغيل حاسوبه، أرسل بيانات «عبد الرحمن» و «رقية» إلى «الزعيم المدنس» بالشرق الأوسط وطلب منه التعاون معه لإيجادهما، لم ينسَ أن يذكر اهتمام «المدنس الأعظم» نفسه بالعثور عليهما، تلقى الرد بعد دقيقتين بتعاون كامل وإمكانيات غير محدودة لحين الوصول إلى المعلومات اللازمة، عاد «إد» من جديد ليخبر «الزعيم المدنس» بالشرق الأوسط أن الأمر عاجل، وأنه لا يملك سوى أقل من ثماني وأربعين ساعة وإلا تلقى عقابه على هذا الفشل، جاءه رد مطمئن من الشرق الأوسط جعله يشعر ببعض الراحة.

مرت أربعون ساعة منذ لقائه الأخير مع «المدنس الأعظم»، لم يصل إلى شيء بخصوص «آدم» حتى الآن، ولم يتلقَّ أي معلومة من القاهرة بعد، كلما مر عليه الوقت دون الوصول إلى أي دليل زاد توتره وقلقه، كما ارتفعت أيضًا معدلات رعبه من العقاب

الذي ينتظره، وصلته رسالة من القاهرة أخيرًا بها تفاصيل عنوان «عبد الرحمن» و «رقية»، هدأ أخيرًا بعد يومين من الرعب، على الأقل وصل إلى معلومة محددة، لكن القلق لم يغادره بعد لأنه لم يصل إلى أي شيء يخص «آدم» أو «ندى» وكأنهما تبخرا، أراد الانتظار بعض الوقت ربما وصل رجاله إلى شيءٍ، مرت ست ساعات أخرى ولم يعد متبقيًا على انتهاء المهلة الممنوحة له سوي ساعتين فقط، أسرع إلى المنزل المقيم به «المدنس الأعظم» وطلب مقابلته، حين دخل عليه استقبله «المدنس الأعظم» بقدر كبير من البرود، لم ينطق «إد» حتى سأله «السيد»:

- هل أنقذت رأسك يا عزيزي «إد»؟

هز رأسه وهو يمد يده بورقة تحمل عنوان «عبد الرحمن» في القاهرة وعددًا من الصور له أثناء دخوله منزله والخروج منه، نظر «السيد» إليه بعين فاحصة:

- ماذا عن صديقنا «آدم»؟

نبتت حبات من العرق على جبهة «إد»:

- لا شيء بعد يا سيدي.

أعاد «السيد» النظر إلى الورقة مَرَّة أخرى، أخرج غليونه وحشاه بالتبغ المصنع له خصيصًا، أشعله ببطء فاحترقت أعصاب «إد» قبل أن تحترق ورقات التبغ، نفث «السيد» دخانه إلى أعلى وهو يلقي برأسه للخلف مفكرًا، داعب الأحجار الكريمة بعصاه:

- اسمعني جيدًا يا «إد»، لقد نجحت أن تنقذ رقبتك بوصولك إلى طرف خيط جيد، لكن رقبتك ما زالت مهددة.

ازداد اللون الأصفر في وجه «إد»، وجرت حبات العرق من جبينه إلى باقي وجهه:

- أنا تحت أمرك يا سيدي، فقط أخبرني ما عليّ فعله وستجد منّي ما يرضيك.

نهض «السيد» وخطا عدة خطوات داخل الغرفة وهو ينفث دخان غليونه حتى تكونت سحابة فوق رأسه، التفت نحو المسكين «إد»:

- أريد أن أجبر «آدم» على الظهور، لو كنت مكاني ماذا تفعل؟

عجز «إد» عن الإجابة فلم يتوقع هذا السؤال، هل هو فخ من «السيد»؟ ماذا لو أخطأ في الإجابة؟، نظر بهلعٍ للسيد:

- لا يمكنني أن أصل إلى حكمتكم بعد يا سيدي، أنا هنا لأنفّذ أوامركم.

شعر «السيد» بالإحباط من إجابة «إد»، عاد للسير داخل الغرفة وسحابة دخان الغليون تزداد كثافة حتى أوشكت أن تمطر، استند إلى مكتبه، تناول قلمًا وورقة ملاحظات صغيرة، دون عليها رقم هاتف، ناولها لـ «إد»:

- اتصل بهذا الرقم واطلب منه باسمي أن يصل إلى «عبد الرحمن»، وأن يحرص على حصولهما على العذاب الكافي قبل الموت، سيفهم ما عليه فعله.

مدَّ «إد» يد مرتعشة ليحصل على الورقة، ثم انحنى أمام «المدنس الأعظم»:

- هل من أوامر أخرى أيها «السيد»؟

أشار «السيد» له بالانصراف بأطراف أصابعه فخرج فورًا من الحجرة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طرقات على الباب دفعت «رقية» لتقوم كي تعرف من الطارق، أتاها صوت من الخارج يخبرها أنه محصل الكهرباء، فتحت فوجدت من يدفعها إلى الداخل ويتبعه عدد آخر من الرجال شاهري المسدسات في وجهها:

- أين زوجك يا امرأة؟

في نفس الوقت كان ثلاثة آخرون يجولون في الغرف المختلفة بالبيت، عاد أحدهم وهو يجر «عبد الرحمن» جرًّا من ملابسه ويلقيه على الأرض في الصالة، انحنت «رقية» لتطمئن على زوجها، انحنى بالقرب منهما الرجل الذي دخل الشقة أولًا:

- دون أن يضيع منا كثير من الوقت يا دكتور، أين «آدم»؟

نظر له «عبد الرحمن» نظرة متحدية:

- لقد مات.

ألصق الرجل مسدسه بصدغ «عبد الرحمن»:

- صدقني يا دكتور نحن لا نمزح، ولا نهدد دون فعل، إن لم تكن كلماتك القادمة بمكان ولدك فستكون هي الكلمات الأخيرة التي تخرج من فمك.

رفع «عبد الرحمن» رأسه في كبرياء:

- ليكن، لن تعرفوا منّي أي معلومة.

نهض الرجل وأشار إلى رجاله الذين التفوا حول «عبد الرحمن» وزوجته، قاموا بتكتيفهم بحبال غليظة إلى المقاعد الموجودة

بالصالة، وقام آخر بسكب البنزين عليهما، عاد الرجل الأول للاقتراب من «عبد الرحمن»:

- هذه هي فرصتك الأخيرة أيها الكهل كي تطيل عمرك بعض الوقت.

- بسم الله الرحمن الرحيم (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) صدق الله العظيم.

ابتسم الرجل بسخرية:

- إذًا هو اختيارك يا عزيزي.

انسحب هو ورجاله نحو الباب وأشار إلى أحدهم فأشعل قداحته وألقى بها نحو «عبد الرحمن» وسارعوا بالخروج.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أغلق «آدم» الهاتف والدموع تلمع في عينيه، بعد أن تلقى اتصالا على رقمه الجديد من توأمه «آن» تخبره بوفاة والديه، شعر بحريق يسري في عروقه ورغبة عارمة في تحطيم الكون من حوله، ضرب بقبضته على فخذه وهو يصرخ، حين وصلت صرخته إلى «ندى» هرولت إلى حجرته، عندما وقفت على باب الحجرة كان يلقي بآنية الزهور إلى الحائط، شعرت فورًا بانقباض في قلبها:

- ما الذي حدث يا «آدم»؟ لما كل هذه الثورة؟

كانت تخشي أن تسمع إجابته لكنها لم تتوقع الإجابة التي هبطت على مسامعها كوقع الزلزال:

- لقد حرقوا والديّ أحياء يا «ندى».

انهار «آدم» بعدها على الأريكة، حاول أن يغالب دموعه، لكنها غلبته في النهاية واندفعت كالسيل، قطعت «ندى» المسافة بينهما بأسرع ما استطاعت، احتضنت رأس «آدم» إلى صدرها، ربتت عليه ودموعها تجري أيضًا على خديها، بكاء «آدم» زرع نصلًا حادًا في قلبها فهي تكره أن تراه بهذا الضعف، لم ترَه أبدًا في حالة مشابهة، اعتادت أن ترى «آدم» بطلها الأسطوري الذي جاء إليها ليمنحها القوة، صوت بكائه جعلها تشعر بالخوف أكثر من ذي قبل، رفع «آدم» رأسه ينظر إليها:

- سأقتلهم، سأمحو هذا «السيد» من وجه الأرض، وسأجعل «غسان» يتمنى لو لم يولد أبدًا.

ضربات قلب «ندى» كانت أعلى من صوتها:

- لا يا «آدم» أرجوك، يكفي ما لحق بنا من خسائر، لن أتحمل خسارتك أنت أيضًا.

نظر لها «آدم» والدموع لا تزال تسكن عينيه:

- ما الذي تقولينه يا «ندى»، لا تظني أني سأتركهم بعد فعلتهم هذه.

نهض بعدها وأمسكها من كتفيها:

- يجب أن يدفعوا الثمن، لن أفلتهم أبدًا.

حاول التوجه نحو باب الحجرة فأمسكته من ذراعه:

- «آدم».. اسمعني يا حبيبي أرجوك، هؤلاء القوم كما ترى لا يتورعون عن فعل أي شيء، يجب أن نستمر في اختفائنا حتى نعيد حساباتنا ونرى ما الذي يمكن أن نفعله، لا نريد أن نندفع حتى لا نخسر مزيدًا من الخسائر.

أراد «آدم» أن يتفوه بكلمات ما لكن صوت رسالة على الهاتف منعه من الحديث، التقط هاتفه، ربما كانت الرسالة من «آن»، فتحها ليجد صورة والديه وهم مربوطان بالحبال إلى المقاعد وتحت الصورة عبارة «كم هو سيء العناد الذي يجعلنا نخسر أحباءنا»، كاد أن يلقي بالهاتف إلى الحائط من الغضب، لكن رسالة أخرى وصلته وحين فتحها وجد صورة «آن» ووالديها وهم في طريقهم للخروج من منزلهم بالقاهرة تذيلها عبارة أخرى «فإذا استمر العناد، استمرت الخسائر»، على غير العادة كانت الرسائل من رقم ظاهر، حين رأت «ندى» الرسائل انقبض قلبها فورًا، بينما «آدم» سارع للاتصال بالرقم الذي وصلته منه هذه الرسائل، استمر صوت رنين الاتصال أطول مما تحتمل أعصاب «آدم» فكاد أن يعتصر الهاتف في يده، لم يتلقَّ ردًّا على اتصاله مما زاد من اشتعال غضبه وقلقه معًا، سحبت «ندى» الهاتف من يده:

- اجلس يا «آدم» يجب أن نهدأ حتى نحدّد ما هي الخطوة القادمة.

لم يجلس «آدم»، نظر لها في حدة وبصوت حازم:

- لماذا تتحدثين بصيغة الجمع يا «ندى»!!، أنتِ ستبقين خارج هذه المسألة بالكامل، لا أريد لك أذى.

أمسكت «ندى» يده من جديد:

- نحن معًا في هذا الأمر منذ البداية وسنبقى معًا فيه حتى النهاية.

هز «آدم» رأسه يمنة ويسرة معترضًا على جملتها:

- لا يمكن أن أسمح لك بالمشاركة يا «ندى».

دفعته للجلوس فاستجاب هذه المرة:

- بل سأساعدك يا «آدم»، اسمعني جيدًا حتى نتفق على الخطوات القادمة.

***

- لقد حددنا موقع «آدم» يا سيدي، فهو لا يزال داخل إنجلترا حتى الآن.

رفع «السيد» عينيه عن الأوراق الموضوعة أمامه، ونظر بغضب نحو «إد»:

- أحسنت.. أحسنت يا سيد «إدوارد».

ثم رفع صوته بغضب أكثر:

- لماذا إذًا لم تحضره إلى الآن أيها الأحمق؟ ما الذي استفدناه من معرفة مكانه دون أن تمسكوا به؟

تلعثم «إد»:

- عفوًا.. سيدي، كنت.. كنت في انتظار أوامرك.

ضحك «السيد» ضحكة ساخرة قصيرة:

- يا لها من حكمة يا سيد «إداورد».

شعر «إداورد» بالارتباك فلم يعرف ما يتوجب عليه فعله أو قوله الآن، فوقف صامتًا أمام «المدنس الأعظم»، الذي أعاد النظر له في دهشة:

- ما الذي تنتظره يا «إد»؟

لم يمهل «إد» وقتًا للإجابة فصرخ في وجهه:

- أريد «آدم» هنا الآن، هيا تحرك.

أسرع «إد» للخروج من حجرة المكتب، ثم جمع رجاله وتوجهوا فورًا نحو المكان المختبئ فيه «آدم».

حين وصل «إد» ورجاله إلى المكان لم يجدوا أي أثر لـ «آدم» أو «ندى»، شعر حينها أن رقبته لن تستمر فوق كتفيه إلى نهاية اليوم، دار حول نفسه في حيرة لا يعرف كيف يتصرف، نظر له رجاله في انتظار أوامره، أراد أن يقول أي شيء حتى لا يبدو عاجزًا أمامهم، أنقذه من حيرته رنين الهاتف فأسرع بفتح الاتصال:

- نعم.

أتاه صوتا أجش:

- لقد دخل «آدم» الآن إلى منزله القديم في «إدجوار رود».

شعر «إد» وكأن حياته قد عادت إليه لتوّها فقال في غضب:

- ما الذي تنتظرونه يا أغبياء، أمسكوا به فورًا وأحضروه إلى «السيد».

أغلق الخط في عصبية ظاهرة بينما في داخله يشعر بالفرحة العارمة.

اندفع الرجال الذين يراقبون منزل «آدم» إلى الداخل فوجدوا «آدم» جالسًا في هدوء على أحد المقاعد، لم يأتِ بأي حركة، بل ابتسم لهم:

- مرحبًا.. لقد أتيتم في سرعة كما توقعت.

شهر أحدهم مسدسًا في وجه «آدم»:

- تحرك معنا.

نظر «آدم» في هدوء إلى الحائطين على يمين ويسار الرجال ثم أعاد تكوينهم بحيث انطبقت عليهم، صرخاتهم دفعت المتواجدين خارج المنزل للهرولة إلى داخله شاهرين أسلحتهم، توارى «آدم» خلف الأريكة قبل دخولهم، بحث بنظره فوجد أحد أسلحة الرجال المنطبقة عليهم الحوائط وهو ملقى قرب الباب، أعاد تكوينه في يده، ثم خرج من خلف الأريكة وهو يصرخ ويطلق النيران على الداخلين إلى المنزل حتى قتلهم جميعًا، حين فرغ كان يلهث من شدة الإثارة، نظر إلى الجثث التي تحيط به ثم بصق عليهم، تواصل مع عقل «ندى» التي وصفت له المكان الذي زاره المرة الماضية والذي احتجز «السيد» والديه فيه، توجه نحو سيارات «المدنسون» وانطلق في اتجاه المقر، أرشدته «ندى» طوال الطريق، حين وصل إلى هناك كان المكان هادئًا، اقترب بالسيارة من المدخل فانفتح الباب تلقائيًّا، دخل إلى المقر، لم تكن هناك حراسة خلف الباب، بل كان الحراس قرب الأسوار من الداخل، توقف بالسيارة ولم يغادرها، اقترب منه أحد الحراس، قبل أن يصل إلى «آدم» كان قد أعاد تكوين إحدى نخلات الحديقة فوق رأس الحارس تمامًا وتركها تهوي فوقه لتقتله، التفت الباقون وشهروا أسلحتهم في اتجاه السيارة، في نفس التوقيت كان «آدم» يعيد تكوين رشاش موجود في يد أحدهم ويمطرهم بوابل من الرصاص، سقطوا جميعًا، فخرج من السيارة توجه إلى الداخل وهو يحمل الرشاش، في هذه الأثناء كان اثنان آخرَيْن يندفعان نحو المدخل، أطلق «آدم» الرصاص في اتجاه أحدهم بينما أعاد تكوين أحد المقاعد في طريق الثاني الذي تعثر فيه، اندفع «آدم» نحوه موجهًا سلاحه إلى رأسه:

- أين أجد «السيد»؟

- لا أعرف.

أطلق «آدم» الرصاص على قدم الرجل فصرخ من الألم، ثم عاد لتوجيه الرشاش نحو رأسه من جديد وهو يضغط على حروف كلماته:

- أين «السيد»؟

- صدقني لا أعرف.

مرة أخرى أطلق «آدم» الرصاص على الرجل فأصاب قدمه الثانية، فصرخ مجددًا من الآلام الرهيبة التي أصابته:

- صدقني أرجوك.. لا أعرف أين يوجد.

بدا «آدم» جادًا وهو يضيف بحدة:

- ما فائدتك لي إذًا كي أبقي على حياتك؟

غالب الرجل ألمه:

- يمكنني أن أدلك على مكان «إدوارد» وهو يعرف أين تجد «السيد».

انحنى «آدم» نصف انحناءة ليقترب بوجهه من الحارس الملقى أرضًا ووضع قدمه اليسرى فوق صدره:

- كلّي آذان صاغية يا عزيزي.

- تجده في «بار ذا كوين» في...

لم يكمل الرجل جملته إذ أطلق «آدم» الرصاص على رأسه مباشرة:

- أعرف أين يكون أيها القذر.

ركب «آدم» السيارة، نظر إلى مبنى الفيلا ثم أعاد تكوينها في الهواء أعلى السطح وترك نسخته تهوي على أصلها لتحطمها، حتى ساوى المكان بالأرض.

انطلق بالسيارة نحو «بار ذا كوين»، صف السيارة بعيدًا عن المكان وترجل منها باتجاه البار، عبر الباب المزدوج ودخل في هدوءٍ وعيناه تمسحان المكان، جلس إلى أقرب منضدة، أتاه الساقي حاملًا دفترًا صغيرًا وقلما:

- كيف أخدمك يا سيدي؟

تفحصه «آدم» ببرودٍ:

- أبحث عن «إدوارد».

صمت الساقي قليلًا ثم أجابه في ثبات:

- لا يوجد أي «إدوارد» هنا يا سيدي، ماذا تشرب؟

نظر «آدم» حوله:

- إذًا اجلب لي قدحًا من القهوة.

دوَّن الرجل طلب «آدم» وانصرف إلى المطبخ، بعد قليل أتاه رجلٌ ضخم الجثة يرتدي زِيًّا من قطعة واحدة بلا أكمام يشبه زِي عمال الحقول في أيرلندا، أدار المقعد وجلس عليه بالعكس، وضع خلة أسنان في فمه وبصوت أجش:

- سمعت أنك تبحث عمن يدعى «إد»؟

نظر له «آدم» نظرة جامدة:

- هل أنت هو؟

ابتسم الرجل في سخرية:

- ما الذي تريده؟

أعاد «آدم» تكوين حامل الأكواب الموضوع على البار لتحيط بمعصمي الرجل الضخم الجالس أمامه، ثم أضاف بحزمٍ:

- أين «إد» يا عزيزي؟

شعر الرجل بالارتباك وهو يحاول أن يخرج يديه من حامل الأكواب لكنه عجز فنهض واقفًا وهو يصرخ:

- أي شيطان أنت؟!!

هرول رجلان نحو زميلهما ضخم الجثة في محاولة لمساعدته، لكن «آدم» أعاد تكوين أحد الحوائط في مواجهتهما فارتطما بها ووقعا أرضًا، من خلف «آدم» جاء رجلٌ حاملٌ عصا غليظة ثم هوى بها على مؤخرة رأسه، فسقط «آدم» مغشيًا عليه، ثم أسرع الرجل الذي ضربَ «آدم» لسحبه نحو الباب الخلفي للبار المطل على زقاق ضيق، ألقاه أرضًا وهرول إلى الداخل، أحضر حبلًا غليظًا وعاد إلى الزقاق ليقوم بربط «آدم» بالحبال، لكنه لم يجده، تلفت حوله وحين أراد العودة إلى الداخل لم ينتبه إلى الباب الذي ارتطم به فغيَّبه عن الوعي، شكر «آدم» عبر عقله «ندى» أنها أعادت إليه وعيه من جديد، ما زال يشعر بألم الضربة خلف رأسه، وضع يده ليتحسسها فوجد دماءه تنزف، فآثر العودة إلى «ندى» حتى تسعفه قبل أن يعود إليهم من جديد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كاد «إدوارد» أن يغيب عن الوعي حين سمع من رجاله ما فعله «آدم» بمقر المنظمة وما حدث في «بار ذا كوين»، تأكد هذه المرة أن «المدنس الأعظم» لن يغفر له مزيدًا من الأخطاء، عزم

ألا يخبره بما حدث إلا بعد أن يصلح الأمر، يجب أن يمسك بـ «آدم» في أسرع وقت حتى ينجو من عقاب «السيد»، دار في حجرة مكتبه بغضب، لا يعرف كيف يمكن أن يصل إلى «آدم»، اتصل بمساعده «إلتون» وطلب منه الحضور إليه على وجه السرعة، بعد دقيقة كان «إلتون» يطرق باب مكتبه ويدخل عليه مسرعًا:

- تحت أمرك يا سيد «إد».

نظر له «إد» والغضب يتراقص في عينيه:

- هل علمت بما حدث في «بار ذا كوين»؟

هز «إلتون» رأسه إيجابًا:

- نعم، أخبرني «جون» منذ قليل.

لوح «إد» بقبضته أمام وجهه:

- أريد الإمساك بهذا الحقير اليوم يا «إل».

ظهرت ملامح الحيرة على وجه «إلتون» وهو يقلب كفيه:

- كيف يا سيدي؟ نحن لا نعرف مكانه.

صرخ «إد»:

- تصرفوا.

اقترب منه «إلتون»:

- أرى أنه لا داعي أن نبحث عنه، طالما بدأ هو بالبحث عنا فهو حتمًا سيعود إلى «بار ذا كوين» مَرَّة أخرى، وساعتها يجب أن نكون مستعدين للإمساك به.

جلس «إد» إلى مكتبه وأحاط رأسه براحتيه:

- الأمر لا يحتمل الانتظار، يجب أن نصل إليه اليوم، لو علم «السيد» بما حدث فنحن في عداد الأموات.

- اطمئن يا سيدي، «آدم» متعطش للانتقام، ولهذا أتوقع أن يعود إلى «بار ذا كوين» في هذا المساء.

لوّح «إد» بسبابته:

- إذًا اصحب أي عددٍ من الرجال واذهب إلى هناك، أريده الليلة بأي ثمن، مهما تكلف الأمر يجب أن نمسك به، هل تفهم؟

خرج «إلتون» فورًا ليجمع رجاله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- خطأ يا «آدم»، لا تعود إليهم الليلة، لأنهم سيتوقعون قدومك، ومعنى ذلك أنهم مستعدون لك بعدد كبير من الرجال والأسلحة.

خرجت الكلمات من «ندى» بانفعالٍ وهي تحاول أن تثني «آدم» عن العودة إلى «بار ذا كوين» الليلة، نظر لها «آدم»:

- أنا أيضًا سأكون مستعدًا لهم، كما أنني أعتمد على مساعدتك.

هزت «ندى» رأسها رفضًا:

- لا تلعب وفقًا لقوانينهم يا حبيبي، يجب أن تتحكم أنت في قواعد اللعبة حتى تنجح في مسعاك.

اقترب «آدم» من ندى وعقد ساعديه أمام صدره:

- هذه ليست لعبة يا «ندى»، هذا ثأر أبي وأمي، أم تراكِ نسيتِ؟

وضعت «ندى» يديها حول كتفي «آدم» وهي تنظر له في عتابٍ:

- لم أنسَ يا حبيبي، لكن كي نحقق هدفنا يجب أن نرسم نحن الطريق ولا يصح أن نترك الطريق يسير بنا كيف شاء.

فك «آدم» ساعديه وربت على كتف «ندى»:

- معك حق، يبدو أن الغضب يؤثر على سلامة حكمي على الأمور، ماذا ترين إذًا؟

جلس «آدم» على المقعد وكذلك جلست «ندى» بالقرب منه:

- هم يتوقعونك أنت، الليلة، لكنك لن تظهر في الموعد الذي يتوقعونه، ولا في أي موعدٍ آخر.

تواصل «آدم» مع عقل «ندى» فعرف أنها تريد أن تذهب هي فهز رأسه رفضًا:

- كلا يا «ندى»، مستحيل أن أوافق على هذا الاقتراح.

مالت «ندى» نحو «آدم»:

- لكن المنطق يفرضه يا حبيبي، هم لا يتوقعونني بأي حالٍ، ولست أظن أن أيًّا منهم يعرف شكلي باستثناء «غسان» وسيده، ما إن أصل إلى المدعو «إدوارد» هذا وانفرد به، سأعرف منه طريق «السيد» ثم نحقق بعد ذلك مأربنا في الانتقام.

جاراها «آدم» في أفكارها دون اقتناع:

- إذا كانوا يتوقعون ظهوري بحثًا عن «إدوارد»، فمن باب الاحتياط فإن «إدوارد» لن يذهب إلى هناك أيضًا.

تراجعت «ندى» للخلف مستندة إلى ظهر المقعد مفكرة في كلمات «آدم»:

- بالعكس يا حبيبي، «إدوارد» يسعى خلفك قبل أن تسعى أنت خلفه، ولأن رجاله أخفقوا أكثر من مَرَّة في الإمساك بك فسيتواجد الليلة في انتظارك حتى يتأكد من القبض عليك.

ابتسم «آدم»، دائمًا تصح وجهة نظر «ندى»، لكنه ما زال رافضًا أن تذهب إليهم وحدها، قرأت هذه الفكرة برأسه:

- صدقني يا «آدم» سأكون على حذر يا حبيبي.

***

بعد منتصف الليل بنصف الساعة عبرت «ندى» الباب المزدوج لـ «بار ذا كوين» وهي تضع عدسات لاصقة ملونة، وشعر مستعار أصفر، ارتدت بنطالًا قصيرًا لا يصل إلى منتصف فخذيها، وبلوزة بلا أكمام وظهر مكشوف أغلبه، جلست إلى أقرب منضدة إلى الباب، وضعت سيجارة بين شفتيها وتصنعت البحث عن قداحة في حقيبتها الصغيرة، وجدت قداحة مشتعلة تمتد إليها، نظرت إلى الرجل الذي مدَّ يده إليها بدلال، أشعلت السيجارة وقامت بنفث الدخان نحو وجهه:

- شكرًا لك.

ابتسم الرجل ابتسامة ذات مغزى وغمز بإحدى عينيه:

- تحت أمر جمالك يا سيدتي، هل لي أن أدعوك إلى شراب.

رسمت على وجهها بسمة داعية أكثر منها رافضة:

- لكنني في الواقع أنتظر رفقة.

بدت على وجه الرجل خيبة الأمل:

- يا لسوء حظي.

مدَّ يده إلى جيب سترته الداخلي وأخرج كارت عمل وناوله لها:

- تشرفت بمعرفتك يا سيدتي.

تناولت «ندى» الكارت، قرأت الاسم ثم أعادت الابتسام له من جديد:

- أسعدني لقاؤك «مستر إلتون».

ثم مدت يدها له بالمصافحة وهي تضيف:

- «لي لي».

صافحها «إلتون» وابتسامته تزداد اتساعًا:

- أتمنى أن أراكِ قريبًا «لي لي».

هزت رأسها في دلالٍ وصمتت، فانصرف، من بعيد أشار له «إدوارد» الذي جلس على آخر منضدة بالمكان ورجاله يحيطون به من كل جانب، حيًّا «إلتون» «ندى» برأسه وانصرف متجهًا نحو «إدوارد» الذي بدا الغضب على وجهه:

- ألا تستطيع أن تتمالك نفسك قليلًا أمام النساء، نحن في انتظار «آدم» لا تلك الشقراء هناك.

ابتسم «إلتون» وهو يجلس:

- معذرة سيد «إداورد» لكنها جميلة، ألا ترى ذلك معي.

نظر «إدوارد» نحو «ندى»:

- هي كذلك بالفعل، ولو تنوي إقامة علاقة معها انصحها بالانصراف الآن قبل أن يحضر «آدم».

ضحك «إلتون» من دعابة «إدوارد»، أشار للساقي وحين حضر إليه سأله:

- ماذا طلبت السيدة الشقراء قرب الباب؟

قلب الساقي في دفتر الطلبات:

- زجاجة من الجعة.

- أخبرها أنها على حسابي.

انحنى الساقي انحناءة خفيفة ثم انصرف، نظر «إد» إلى ساعته:

- الوقت يجري وهذا الأحمق لم يظهر بعد.

أشعل «إل» سيجارة:

- لا تقلق، سيظهر حتمًا في القريب العاجل.

ظلت «ندى» تتابع «إل» بنظراتها، فهمت أن الرجل الجالس معه ومحاط بهذا العدد من الحراس هو «إدوارد»، أحضر الساقي لها زجاجة الجعة وأخبرها أنها على حساب السيد «إلتون»، أخذتها واتجهت نحو «إدوارد» وهي تمسك بسيجارة أخرى، توجهت بنظرها أولًا نحو «إل» وابتسمت له، ثم مالت بالقرب من «إدوارد»:

- معذرة أيها السيد الوسيم، يبدو أني فقدت قداحتي، هل يمكن أن تشعل لي سيجارتي؟

ابتسم لها «إد» فورًا بينما ظهرت على وجه «إلتون» علامات الضيق، تناول «إد» القداحة وأشعلها وقربها من سيجارة «ندى»، التي ابتعدت قليلًا، قرَّب لها «إد» القداحة من جديد فابتعدت مَرَّة أخرى نظر لها مستفهمًا فغمزت له:

- يا لقلة ذوقي، نسيت أن أعرفك بنفسي.. «لي لي».

ابتسم لها:

- «إدوارد»، يمكنك أن تناديني «إد».

وضعت يدها على كتفه قرب رقبته وداعبت خصلات شعره من الخلف.

- لقد تذكرت أني نسيت قداحتي في السيارة بالخارج، من المؤكد أنها على المقعد الخلفي الفسيح، هل تساعدني في البحث عنها يا «إد» الوسيم؟

فهم «إد» الرسالة فورا، نظر نحو «إل»:

- حين يصل صديقنا المنتظر اتصل بي.

قام بصحبة «ندى» فلاحقه «إل» بكلماته:

- يبدو أنك نسيت نصيحتك لي منذ قليل.

أشار له «إد» من خلف ظهره بقبضة مضمومة ما عدا إصبعه الأوسط وخرج في صحبة «ندى»:

- أين السيارة يا عزيزتي؟

أشارت «ندى» نحو بقعة مظلمة خلف البار:

- هناك.. في الظلام، حيث لا يرانا أحد ولا يزعجنا متطفل.

أسرعت الخطى نحو البقعة التي أشارت إليها فلحق بها «إد» وهو يفرك يديه وعينه تتفحص جسدها من الخلف، وقف «إل» على الباب ثم ألقى سيجارته بغضبٍ وهو يتابعهما يختفيان في الظلام، ركبت «ندى» السيارة في المقعد الخلفي وتركت الباب مفتوحًا فلحق بها «إد» وأغلق الباب خلفه، حينها ظهر «آدم» في المقعد الأمامي وهو يوجه مسدسًا نحو رأس «إد»:

- كلمة واحدة تخرج من فمك سيكون ثمنها رأسك أيها الخنزير.

تصبب «إد» عرقًا وهو ينظر بهلع نحو «آدم»:

- سـ.. سيد «آدم»، لما.. لماذا تشهر مسدسًا في وجهي يا عزيزي؟ أنا لا شأن لي بما حدث لوالديك، لـ.. لقد كان «غسان».. نعم نعم، إنه «غسان»، أنا لا ذنب لي صدقني.

ابتسم «آدم» بسخرية بينما كانت «ندى» تكمم فمه وتربط يديه بحبل قبل أن تغرز محقن في ذراعه يحتوي على مخدّر قوي، جعله يسقط فاقدًا للوعي، انطلق «آدم» فورًا بالسيارة، حين مرت السيارة من أمام باب البار كانت «ندى» تعيد تكوين حوائط سميكة أمام الأبواب والنوافذ، بينما «إلتون» يشاهد السيارة وهي تبتعد، مد يده إلى جيب سترته الداخلي لكنه لم يجد مسدسه فقد نسيه في البار فسارع نحو سيارته ليلحق بهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حمل «آدم» جسد «إد» إلى داخل المنزل الذي يختبئ فيه مع «ندى» وتأكدت «ندى» من خلو الطريق خلفهما، ثم أحكمت غلق الباب، ألقى «آدم» حمله على أقرب مقعد، ثم أحضر محقنًا يحتوي على مادة لإعادة «إد» إلى وعيه، حين بدأ يشعر بما حوله نظر في فزع نحو «آدم»، أراد أن يستعطفه لكن الكمامة على فمه منعته الحديث، لطمه «آدم» على وجهه بقوة فأسال الدماء من أنفه، تدخلت «ندى» لتحول بينهما:

- «آدم» لا تنساق نحو غضبك يا حبيبي، لقد أحضرناه لغرض محددٍ، لا تنسَ ذلك.

حاول «آدم» السيطرة على انفعالاته، جلس في قبالة «إد»، فك كمامة فمه:

- لا أريد أن أسمع منك سوى جملة واحدة وإلا أطحت برأسك من موضعها.

هز «إد» رأسه وهو يخشى أن يتفوه بأي كلمة حتى لا يغضب «آدم»، اقتربت «ندى» من «إد»:

- أين نجد سيدك أيها القرد؟

صمت «إدوارد» رعبًا من إخبارهم بمكان «السيد»، ضربه «آدم» بقبضته في معدته فصرخ من الألم:

- إذا قررت الصمت يا «إد» يمكنني إذًا أن أحرمك من لسانك إلى الأبد.

أتبع جملته بأن أعاد تكوين مدية صغيرة في يده، لوح بها في وجه «إد»، الذي زادت علامات الرعب على وجهه:

- أرجوك يا سيد «آدم»، أنا لا شأن لي بمقتل والديك.

غرس «آدم» مديته في فخذ «إد» فصرخ مَرَّة أخرى:

- المرة القادمة ستكون في قلبك أيها النجس.

هز «إد» رأسه وفي عينيه علامات استعطاف:

- أنت لا تعرف «السيد» لن يرحمني إن أخبرتك بمكانه.

- وماذا تظن أني سأفعل لو لم تخبرني؟

ألقى «إد» بجسده نحو قدم «آدم» وقبَّل حذاءه بالفعل:

- الرحمة سيد «آدم»، الرحمة أرجوك.

وضع «آدم» حذاءه فوق رقبة «إد»:

- يبدو أنه لا نفع منك يا رجل.

التقط المسدس ووجَّهه نحو رأس «إد»، فأسرعت «ندى» تمسك يده:

- انتظر يا «آدم»، لا نريد أن نسقط إلى مستنقعهم، لا داعي لقتله.

في هذه اللحظة تحطم باب المنزل واندفع «إلتون» بصحبته عدد كبير من الرجال يحملون الأسلحة وأحاطوا بـ «آدم» و«ندى»، سارع عدد منهم بالإمساك بـ «آدم» وتكبيله بينما غرز آخر حقنة مخدرة في رقبته، الأمر نفسه قام به رجال آخرون مع «ندى»، توجه «إلتون» نحو «إد» وانحنى بالقرب منه، تهلل وجه «إد»:

- «إلتون» حضرت في الوقت المناسب تماما يا عزيزي، هيا فك وثاقي بسرعة.

أشار «إلتون» لرجاله بحمل «آدم» و «ندى» إلى السيارات، بعد أن خرجوا نظر مجددًا نحو «إد»:

- من المؤكد أن مكافأة القبض على «آدم» ستكون كبيرة، سيفرح «السيد» كثيرًا لهذا، لكن للأسف هذه الجائزة ستذهب لمن لا يستحقها.

ظهرت الدهشة على ملامح «إد»:

- ما الذي تعنيه يا «إل»؟

- أعني أن هذه المكافأة من حقي أنا، كما أنك أصبحت عقبة في طريقي لترأس «مجلس الدنس» في إنجلترا، ألست أنا الذي يليك في القائمة؟

فهم «إد» ما الذي يعنيه، بينما «إل» لم يمهله كثيرًا إذ أخرج مسدسه وصوبه نحو الرأس في منتصف الجبهة تمامًا وأطلق الرصاص بأعصاب باردة ثم لحق برجاله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طلب «إل» الأذن لمقابلة «السيد» لأن لديه خبرًا هامًا يتعلق بـ «آدم» فسمح له بذلك، دخل عليه وبصحبته رجاله يحملون «آدم» و «ندى» وهما مكبلان وفاقدي الوعي، انحنى أمام «السيد» بحركة مسرحية:

- خادمك المطيع «إلتون» يا سيدي، لقد استطعت الإمساك بـ «آدم» ومساعدته أيها «المدنس الأعظم».

تهلل وجه «السيد» وهو ينظر نحو «آدم»:

- هل هما أحياء؟

أومأ «إلتون» برأسه:

- مجرد مخدر بسيط يا سيدي سيزول مفعوله بعد قليل.

نهض «السيد» واقترب من «إل»:

- أحسنت يا «إلتون» لك عندي مكافأة مجزية.

عاد «إلتون» للانحناء أمام «السيد»:

- خادمك يا سيدي، اسمح لي بالانصراف الآن.

أشار له «السيد» بيده نحو الباب، نظر إلى «جورج»:

- أحضر لي «سيفتلانا بتروفيتش» على متن الطائرة الخاصة من «نيو يورك» فورًا.

أخرج «جورج» هاتفه من جيب السترة ليخبر «سيفي» بأوامر «السيد»، كانت «ندى» أول من بدأ باستعادة الوعي، نظرت حولها لتدرك أنهما وقعا أخيرًا في قبضة «السيد»، أرادت أن تستخدم قدرتها الذهنية للتواصل مع «آدم» لكن أثر المخدر لم يكن قد زال بالكامل فلم تجد في عقلها الوعي الكافي لاستخدام موهبتها في إعادة التكوين أو التواصل الذهني، لم تجد بدًّا من الاستسلام الآن فعادت تغمض عينيها من جديد، كان «السيد» جالسًا يراقبهما في هدوءٍ، بعد قليل بدأ «آدم» أيضًا في استعادة الوعي، نظر له «السيد» مبتسمًا:

- يبدو أن آثار المخدر تعطل قدراتكما الذهنية الفريدة يا صديقي.

نظر إلى «جورج»:

- احرص أن تظل هي تحت أثر المخدر طوال الوقت، على أن يبقى أحد الرجال ملاصقًا لها، وفي حال حدوث أي شيء غير معتاد أو اقتراب أي شخص منها سوانا فليطلق الرصاص عليها فورًا.

نهض «جورج» مسرعًا ليحضر حقنة مخدرة جديدة وأحد الرجال ليحمل «ندى» إلى مكان آخر، فتح «جورج» قنينة تحوي مادة ذات رائحة نفاذة ليجبر «آدم» على استعادة وعيه كاملًا، نظر حوله فلم يجد «ندى» حاول أن يتواصل معها ذهنيًا فلم يتمكن، شعر بالحيرة، نظر له «السيد»:

- هل تبحث عن حبيبتك الصغيرة؟، اطمئن هي بخير، لكنها ستبقى تحت تأثير المخدر حتى نمنعكما من استخدام قدراتكما الذهنية.

نظر له «آدم» وقبل أن يتفوه بأي كلمة استأنف «السيد» كلامه:

- هذا هو عرضي الأخير لك يا «آدم»، امنحنا قدرتك وستبقون أحياء، وبكثير من التعاون يمكن أن نترككما، أما غير ذلك ستفقد حبيبتك كما فقدت والديك، وربما أكون كريما وأقتلك أيضًا.

خرج صوت «آدم» واهنًا:

- لن تحصل منّي على كلمة واحدة قبل أن تخلي سبيلها.

قهقه «السيد» بصوت عالٍ:

- أتظن أني لا أتعلم من أخطائي يا رجل؟ ستبقى «ندى» تحت أيدينا إلى أن تفعل ما آمرك به.

صمت «آدم» ولم يعلق على كلمات «السيد»، حاول مجددًا التواصل مع ذهن «ندى» لكنه فشل مَرَّة أخرى، وضع «السيد» رِجلًا فوق الأخرى:

- أتدرك أني لا أعرف حدود قدراتكما الذهنية بالضبط حتى الآن؟.. ترى ما الذي يمكنك فعله أيضًا غير استنساخ الأشياء؟

استمر «آدم» في صمته وهو ينظر بغيظٍ واضح نحو «المدنس الأعظم» الذي لم يعر نظراته تلك أي اهتمام فاستمر في الحديث:

- ألن تخبرني؟

خرج صوت «آدم» حادًا هذه المرة:

- لو مسست «ندى» بأي ضررٍ فلن أرحمك، هل تفهم؟

نظر له «المدنس الأعظم» في تعجب:

- لست أرى أنك في موقف يمكنك من إطلاق التهديدات أو الأوامر يا عزيزي.. اسمعني جيدًا.. إذا لم تتعاون معنا فلن نتساهل معك، بطريقة أو بأخرى سنجبرك على منحنا ما نشاء، فكن عاقلًا حتى لا تتعرض لمزيد من الأذى، أم نسيت أنه يمكننا الوصول أيضًا إلى «آن» بالقاهرة؟

تبادر إلى «آدم» ذكرى والديه فشعر بالخوف على شقيقته، أغمض عينيه لحبس دموعه التي أرادت الانتحار على خديه حزنًا على أبيه وأمه، تمنى لو أنه يعرف ماذا حلَّ بـ «ندي» أو يمكنه التواصل معها، لم يكن ساعتها يمنعه شيئًا من قتل هذا الحقير فورًا وبلا رحمة أو تردد، حاول أن يجد في ذهنه أي أفكار تساعده على الوصول إلى مكان «ندى»، لكنه فشل، لم يمنحه «السيد» فرصة كي يغرق في أفكاره، استمر بالضغط عليه ومساومته وتهديده، في النهاية لم يجد «آدم» غير الاستسلام لرغباته ويوافق على التعاون معهم، طلب جهاز كمبيوتر متصلًا بالإنترنت ليقوم بتحضير المواد اللازمة للمحاضرة التي سيعرضها عليهم ليخبرهم بسر قدرته، ابتسم «المدنس الأعظم» من نشوة النصر، نظر نحو «جورج» الذي قام بهدوءٍ إلى «آدم» وغرز محقن المخدر في رقبته ليبقيه غائبًا عن الوعي حتى تصل «سيفتلانا» فهي التي ستعرف صحة المعلومات التي سيدلي بها من عدمه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس «المدنس الأعظم» في زهو وهو يضع رِجلًا فوق الأخرى ويستند بيمينه إلى عصاه الأبنوسية الفاخرة، وهو يهاتف «غسان» عبر الاتصال الآمن ويطلب منه استدعاء «مجلس الخطايا» كي ينعقد في «لندن» ليشهد المحاضرة التي سيلقيها

«آدم» أمامهم بحضور «سيفتلانا بيتروفيتش» ليمنحهم أخيرًا أسرار طريقته في استنساخ الأشياء بمجرد القدرة الذهنية التي يمتكلها، كان مطمئنًا لتعاون «آدم» الكامل معهم هذه المرة، فهو أحكم الخناق عليه باحتفاظه بـ «ندى» وتهديده له بإيذاء شقيقته التوأم «آن» بالقاهرة.

خلال ساعات كان أعضاء «مجلس الخطايا» الستة الباقين متواجدين في المقر الرئيسي للمنظمة بلندن، كان «إلتون» أيضًا يشعر بالزهو لتواجده في هذا الاجتماع، هو من أمسك بـ «آدم» وأصبح الآن رئيس مجلس الدنس بلندن، تحمل «إلتون» مسئولية هذا الاجتماع لتواجد «غسان» بالمقر الرئيسي للمنظمة المطل على بحيرة «طبرية» لانشغاله بأعمال أخرى، أحضر «آدم» من محبسه، قبل دخوله إلى القاعة المخصصة للاجتماع قابله «المدنس الأعظم»:

- أسعدني أخيرًا التعاون معك يا سيد «آدم»، بعد أن تنتهي من محاضرتك تنتظرك مني مكافأة كبيرة، فأنا رجل يقدر قيمة العطاء، ومثلما تعطي يجب أن تأخذ شيئًا في المقابل.

نظر له «آدم» مندهشًا من طريقته الناعمة في الحديث، فاستطرد «السيد»:

- اسمعني يا «آدم»، أنا ليست لدي خصومة شخصية معك على الإطلاق، بالعكس، أنا رجل يقدر المواهب، وأنت تمتلك موهبة فريدة، لهذا أنا أقدرك واحترمك، واختلافنا – الذي آمل أنه انتهى – لم يكن مع شخصك، كل ما في الأمر أنه كان مجرد صراع أفكار، أما الآن فلم يعد بيني وبينك أي ضغينة، على الأقل من ناحيتي.

زادت دهشة «آدم» أضعافًا من حوار «السيد»:

- وما هي المكافآة التي تتحدث عنها؟

ابتسم «السيد» لسؤال «آدم» فهذا يعني أن طموحه الإنساني المشروع غلبه في النهاية:

- مبدئيًّا ستكون تحت حماية ورعاية منظمتنا، وهذا أمر لو تعلم يتمناه الكثيرون جدًّا، ثانيًا، سننشئ لك أكبر مختبر في العالم لأبحاث الباراسيكولوجي، وسيعمل فيه تحت إمرتك مباشرة، أعظم العقول في هذا المجال.

تحرك «السيد» نحو باب قاعة الاجتماع، وهو يشير لـ «آدم» أن يتقدمه، دخلا القاعة فصمت الحاضرون، حين لمحت «سيفي» «آدم» وهو يدخل إلى القاعة ابتسمت له ابتسامة عريضة، اتخذت لنفسها موقعًا في الصف الأول، حملت معها جهاز الكمبيوتر اللوحي الخاص بها لتقوم بتسجيل الملاحظات اللازمة، وجد «آدم» الأدوات الإلكترونية التي طلبها لعرض تجربته على شاشة عرض كبيرة، تنحنح فانتبه الحضور:

- مخ الإنسان هو أعظم شيء خلق في هذا الكون، هذا العقل الذي انتقل من الكهف إلى اقتحام الفضاء، وابتكر التكنولوجيا، وصنع المعجزات عبر القرون، بعض الآراء العلمية تقول إنه رغم كل هذه المعجزات إلا أن الإنسان لا زال يستخدم عشرة بالمائة فقط من قدراته العقلية، وحتى الآن لا تزال هناك مناطق في مخ الإنسان نجهل ما هي وظيفتها بشكل محدد، تجاربي بدأت حين قررت دراسة هذه المناطق المجهولة من مخ الإنسان، وقادتني هذه الأبحاث إلى اكتشاف مذهل، وهو أن مخ الإنسان يمكنه

التعرف على بصمة الكتلة المادية للأشياء وإعادة تكوينها من جديد.

صمت «آدم» قليلًا ليرى وقع كلماته على وجوه الحاضرين، فلم يرَ سوى نظرات الدهشة والإعجاب، رفعت «سيفي» يدها تطلب سؤالًا، أشار لها «آدم».

- هل تحتاج هذه القدرة إلى استخدام قدرات ذهنية وعقلية تفوق نسبة العشرة بالمائة التي يستخدمها الإنسان حاليًا؟

هز «آدم» رأسه بالإيجاب:

- نعم، هذه القدرة تستلزم أن يستخدم الشخص ما يقارب نسبة العشرين بالمائة من قدراته العقلية.

عادت «سيفي» تسأل من جديد:

- وكيف يمكن أن يصل شخص عادي إلى هذه النسبة يا بروفيسور «آدم»؟

- بالتدريب، يجب أن يبدأ الشخص بتدريبات معينة لتنشيط استخدام منطقة محددة بالمخ حتى ترفع من قدرته العقلية وبعدها يمكنه الوصول إلى قدرة إعادة التكوين.

دونت «سيفي» بعض الملاحظات، دون أن يطلب «السيد» الإذن للكلام، سأل «آدم»:

- وما هي تحديدًا المنطقة التي سيستخدمها الشخص منا لامتلاك هذه القدرة.

اتجه «آدم» نحو جهاز الكمبيوتر الموضوع أمامه وقام بعرض صورة لمخ الإنسان تحتوي على تشريح للمخ وتقسيم لمناطقه،

وتظهر بالصورة منطقة محددة ملونة بلون مختلف عن باقي أجزاء المخ في الصورة، وأشار إليها:

- تلك هي المنطقة التي أعنيها.

سارعت «سيفي» بتدوين هذه الملحوظة الهامة، مَرَّة أخرى يتدخل «السيد» في النقاش:

- وكيف يمكن التدرب على استخدام هذه المنطقة بالتحديد؟

اتجه «آدم» بنظره نحو «السيد»:

- ستكون إجابة هذا السؤال مؤجَّلة إلى المحاضرة القادمة، الليلة ستكون مجرد تمهيد وعرض عام للفكرة ليس أكثر.

سارعت «سيفي» برفع يدها تطلب الإذن بالكلام مَرَّة أخرى، فأومأ لها «آدم» برأسه:

- هل يمكن أن ترينا مثالًا لاستخدام هذه القدرة؟

ابتسم لها «آدم»، ثم جال ببصره في القاعة:

- لننظر مثلًا إلى هذه اللوحة المعلقة على الجدار خلفكم.

التفت كل الحاضرين إلى الخلف لينظروا إلى اللوحة التي يشير إليها «آدم»، لكنه بدلًا من أن ينسخها، نظر باتجاه الحارس الوحيد المتواجد بالقاعة وقام بإعادة تكوين المسدس المعلَّق بجنبه، ثم اطلق نحوه الرصاص فسقط فورًا مضرجًا في دمائه، وقبل أن يدرك الحاضرين ما الذي يحدث، كان «آدم» يمطرهم بوابل من الرصاص، لحظتها ألقى «السيد» نفسه تحت المقاعد ليتّقي الرصاصات التي تتطاير حوله، تعمد «آدم» أن يبقيه حتى النهاية، بعد أن أطلق عليهم الرصاص جميعًا، توجه نحو «السيد» ووضع حذاءه على رقبته:

- من الرائع أيها الخنزير أن القاعة عازلة للصوت، والأروع أن أبوابها لا تفتح إلا من الداخل.

خرج صوت «السيد» مختنقًا:

- فكر في «آن» و «ندى» يا «آدم».

ضحك «آدم» بسخرية:

- رغم أنكم كنتم تراقبون اتصالي بالإنترنت خلال اليومين السابقين، إلا أنني تمكنت من خداعكم وأرسلت لشقيقتي رسالة تطلب منها الاختفاء هي وزوجها وولديها في مكانٍ آمن بعيدًا عن عيونكم ولو لفترة مؤقتة تكفيني لحمياتها.

- ماذا عن «ندى»، هي لا تزال تحت أيدينا.

ضغط «آدم» بشدة على رقبة «السيد»:

- كان يكفيني أن تفيق من أثر المخدر لثوانٍ معدودة كي أتواصل معها ذهنيًّا لأعرف أين هي، فما لا تعرفه أننا على تواصل ذهني يجعلني قادرًا على إعادتها لوعيها، وهي الآن حرة.

حاول «السيد» أن يرد على «آدم» لكنه اختنق بضغط حذائه على رقبته:

- آن لك أن تعرف أيها القرد ما الذي ينتظرك.

اتبع جملته بأن أطلق الرصاص على قدميه حتى يجعله عاجزًا عن الحركة، ثم اتجه نحو باب القاعة ليفتحه، كانت «ندى» موجودة أمام الباب من الخارج، حين دخلت احتضنها «آدم»، أدخلها إلى القاعة وأعاد غلق البوابة من الداخل مَرَّة أخرى، جلست على أحد المقاعد الخالية وهي تعقد ساعديها أمام صدرها وتنظر إلى «السيد» في تشفٍّ واضح جعله ينظر لها

بكراهية شديدة، ناولت «آدم» حبلًا غليظًا وضعه قريبًا منه وأمسك السيد من تلابيبه ليجبره على الجلوس مَرَّة أخرى على كرسيه وهو يئن بشدة وينزف بغزارة، ربطه إلى المقعد بإحكام ثم أخرج هاتفه ليتم تصوير الأمر، عاد نحو «ندى» تناول من يدها قنينة كانت تحملها واتجه بها نحو «السيد»:

- هل تعرف ما يوجد بهذه القنينة يا رجل؟

كان وجه «السيد» محتقنًا من الألم فلم يستطع الرد، انحنى «آدم» نحو «السيد» وفتش في جيوب سترته حتى أخرج قداحته تراجع إلى الخلف خطوتين:

- أتدرك أني بدأت أقتنع أخيرًا بوجهة نظرك يا رجل.

نظر نحوه «السيد» في ضعف وعيناه يملأهما التساؤل، ابتسم «آدم» ثم جلس إلى مقعد قريب:

- ربما في بعض الأحيان يمكن أن يكون الشر طريقًا للوصول إلى الخير دون أن نقصد ذلك.

خرج صوت «السيد» ممزوجًا بالألم والضعف:

- أرجوك يا «آدم» لا داعي لكل هذا، إما أن تتركني وإما أن تقتلني كرجل، أستحق أن أموت مثل الرجال.

قهقة «آدم» بصوتٍ عالٍ:

- تموت كرجل؟ وهل قتلت كأبي كرجل؟

أشار إلى القنينة مَرَّة أخرى:

- أخذنا الحديث ونسيت أن أخبرك ما بداخل القنينة.. إنها مادة «الإيثانول» شديدة الاشتعال، يكفي أن أسكب عليك هذا القدر من السائل، ثم أشعل هذه القداحة الجميلة.

ابتعدت «ندى» إلى باب القاعة بينما «آدم» يسكب محتويات القنينة على جسد «السيد» الذي بدأ في الارتعاش حاول أن ينطق أي كلمة لكنه عجز ولم يستطع أن يتفوه إلا ببعض همهمات غير مفهومة ثم نظر إلى «آدم» وعيناه تضجان بدموعه، تراجع «آدم» إلى الخلف ثم أشعل القداحة، ابتسم في تعالٍ وهو ينظر إليه باحتقار وحقد ثم ألقى القداحة نحو «السيد» الذي تعالت صرخاته في جنبات القاعة، بينما «آدم» و «ندى» يتجهان نحو الخارج.

أمام مدخل مطار القاهرة هرولت «آن» تحتضن شقيقها «آدم» وهي تبكي، احتضنته وكأنها تعانق أباها وأمها فيه وتقتل في صدره شعور اليتم والوحدة الذي احتلها، عرَّفها إلى «ندى» التي بادلتها القُبَل والاحتضان وفورًا تولَّد بينهما شعورٌ بالحب الصادق، هرول الصغير «آدم» وشقيقه «يوسف» يحتضنان خالهما الذي داعبهما في سعادة، رفع «آدم» الصغير إلى الهواء كما اعتاد أن يلاعبه وهو صغير، وداعب شعر «يوسف» وقبَّل جبينه في شوقٍ، سلَّم على «محمود» زوج شقيقته واعتذر له عن الانقلاب الذي أصاب حياتهم جميعًا بسببه، ربت «محمود» على كتفه:

- لا تهتم، يكفينا سلامتك.

سمع رنين رسالة ترد إلى هاتفه، أخرج الهاتف من جيب سترته، كانت الرسالة بلا رقم وتحمل جملة واحدة

«أحسنت.. انتبه لنفسك مستقبلًا.. إلى أن نلتقي»

وذيلت الرسالة بالتوقيع

«المخلص «غسان»»

(تمَّت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

العدد القادم: في عالم آخر

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـاة

الفهرس..

إهداء..

مقدمة..

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)